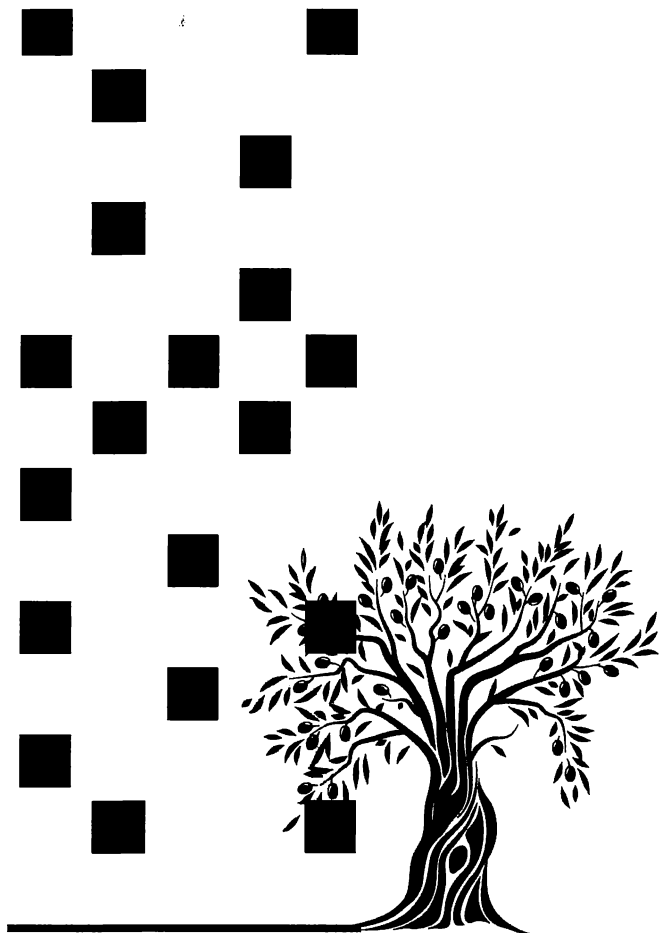


د. عائض القزويني

خَطَّ طَائِمُ الْاِخْتِكَ





خط لآخرتك

د. عائض القرني

ح دار الحضارة للنشر والتوزيع ١٤٤١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القرني، عائض بن عبدالله بن عائض
خطوط لأخرك. / عائض بن عبدالله بن عائض القرني -
ط١ - الرياض ١٤٤١هـ

ص ٣١٤؛ ١٤×٢٠ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٢٩٠-٠١-٩

١- الوعظ والإرشاد ٢- الجنة والنار أ- العنوان

١٤٤١/١٠٠٩

ديوي ٢١٣

رقم الإيداع: ١٤٤١/١٠٠٩

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٠٩٠-٠١-٩

جَنُودُ الطَّيْرِ مَحْفُوظٌ

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ/٢٠٢٠م

دار الحضارة للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض

daralhadarah@hotmail.com

الرقم الموحد: 920000908 الفاكس: 2702719 - 011

0551523173 @daralhadarah

زوروا متجر الحضارة : hadarah.store

متجر الحضارة
HADARAH STORE

تمويله وإدارته
Mustafa-h123@hotmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد.

فإن مشكلة الإنسان أنه يخطّط لدينه أكثر مما يخطّط لآخرته، بل يخطّط لدينه أضعافاً مضاعفة عما يخطّطه لآخرته، مع العلم أن الله قد أخبرنا أن متاع الدنيا بالنسبة للآخرة قليل، وأن الدنيا هو ولعب، وأنها دار غرور، وتكاثر وتفاخر، وأن الموت آت لا محالة، وفي الآخرة خلود أبدي في الجنة أو خلود أبدي في النار، ولكن مشكلتنا أن كل تخطيطنا للدنيا فحسب، وحسن أن يخطّط الإنسان لدينه، وأن ينظّم حياته، لكن المستغرب أن ينسى آخرته أو لا يعطيها من اهتمامه وتفكيره إلا القليل، مع العلم أن نسبة الدنيا للآخرة كقطرة ماء بالنسبة لمحيط عظيم أو ذرة تراب بالنسبة للكرة الأرضية، بل الآخرة أعظم من هذه النسبة إذا قارنتها بالدنيا، فنحن منذ أن نصبح إلى أن نمسي نفكر في الأسرة والوظيفة والبيت والسيارة والراتب، وننهمك في تفاصيل ديانا، وإذا أتينا

إلى عبادتنا كالصلاة مثلاً نفكر أيضًا في الدنيا ولا ينقطع هذا التفكير.

أريد من كتابي هذا (خطط لآخرتك) أن أقدم لك فيه محاولة استفدتها من خلال مطالعاتي وتجربتي في حياتي من باب التعاون على البر والتقوى والتناصح، وبذل الجهد في تقويم مسيرتنا لآخرتنا التي نرتحل إليها كل يوم وليلة.

أعانا الله وإياكم على حسن العمل، وجعل عاقبتنا إلى خير، وجعلنا من أهل الفردوس الأعلى.



الدنيا طريقك إلى الآخرة

كلّ ما تشاهده في الدنيا من متاع زائل، ومن لهو، ومن لذائذ، ومن جاهٍ عريض، ومن مالٍ كثير، ومن كنوز وقناطر مقنطرة؛ أنّها هي مرحلة قصيرة جدًّا بالنسبة للآخرة، وهذه المرحلة هي فترة ابتلاء وامتحان للإنسان، أينجح في اجتيازها إلى دار الخلود أم يرسب فيكون الشقاء والخزي -والعياذ بالله-؟

وقد عجب كثير من المؤرخين ومنهم ابن الجوزي في كتابه (المنتظم) من كثير ممّن سفك الدماء في حياته، وأكل المال الحرام، ووقع في الفواحش والمنكرات مع العلم أنّه لم يعمر إلّا قليلاً، بل بعضهم عاش سبعا وثلاثين سنة من الوجهاء والأغنياء والخلفاء؛ ومع ذلك مرّوا بهذا العمر القصير في موبقات، وفي لهو ولعب، ولم ينتبهوا حتّى فاجأهم الموت، حتّى من بلغ مئة عام فإنّ عمره قصيرٌ جدًّا بالنسبة للآخرة، فالوصيّة أن تجهّز من الآن جهازًا للآخرة، وأن نعدّ العدة، ونتهيّأ للقاء ربّنا بعمل

صالح، وباتّباع لكتابه وسنة نبيه ﷺ حتى ننجو، ولتكن
الآخرة نصب أعيننا كما قال ﷺ: «من كانت الدنيا همّه،
فرّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من
الدنيا إلّا ما كُتب له؛ ومن كانت الآخرة نيّته، جمع الله
له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة».
فالاستعداد الاستعداد، والبدار البدار.



جَعَلْنَا تَفَاصِيلَ التَّفَاصِيلِ لِلدُّنْيَا

غالب جهدنا الفكريّ والعمليّ واستغراق حياتنا في تفاصيل تفاصيل الدنيا، فنحن دخلنا في دقائق الدنيا الفانية، وتعمّقنا في خدمتها بقصد إسعادنا، فلا نجد الواحد منّا يكتفي بالمتاع والقوت، ولكنّا كلّ يوم نتكثّر من الدنيا، ونواصل الجمع والتخطيط بشكل مذهل، مع العلم أنّ العمر يتصرّم سريعاً، والحياة التي هي حياة المستقر والخلود هي الآخرة، فنعمى عن الآخرة، وننشغل بكلّ جزئية من جزئيات حياتنا، وأضرب لك أمثلة، منها: حديثنا في المجالس في شؤون الحياة في الدور والقصور والعقار والأسعار والأمطار والأخبار وحوادث الليل والنهار، وما يجري في المجتمع من مشكلات وأزمات إلى غير ذلك، فإذا قستَ هذا الاهتمام باهتمامنا لكتاب الله أو سنة نبيه ﷺ أو ذكره سبحانه؛ لم تجد أيّ نسبة أو تناسب، وهذا مثل، ثمّ تجد الواحد منّا يمكث في قضية البناء إذا دخل في العقار من بيت إلى بيت، ومن قصر إلى قصر، ومن أرض إلى أرض، بينما تجده مخلاً

بصلاته، أو لا يكمل خشوعها، أو لا يحافظ على أوقاتها،
ولا يهتم بكتاب الله ولا يتدبره، وليس له حظ من السنّة
النبويّة، وقليل تسبيحه لربّه، وذكره لمولاه، فانظر إلى هذا
البون الشاسع والذهول واللّهو والاغترار.



إذا فتحت عينيك

أبدأ معك في برنامجك اليومي، وهو برنامج المسلم الذي رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً، فأول ما تفتح عينيك بعد نومك في الليل فإنّ عليك عبوديّة قام بها قدوتك وإمامك ﷺ، أول كلمة تقولها: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور»، وتقول: «الحمد لله الذي عافاني في جسدي، وردّ عليّ روحي، وأذن لي بذكره»، ولك أن تقول الحديث الذي ذكره ﷺ عند الاستيقاظ أيضاً: «ما من عبدٍ يتعارّ من الليل -يعني يستيقظ- فيقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم يقول: اللهم اغفر لي، أو يدعوا؛ فيستجاب له، فإن قام وصلى قبلت صلاته»^(١).

ثمّ تتلو إذا تيسر الآيات العشر من سورة آل عمران:

(١) رواه البخاري.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخِثَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [سورة آل عمران: ١٩٠]،
ثم إن كان أوترت أول الليل فيها ونعمت، فصل ما تيسر
في السحر، وإن كان فأوتر قبل الفجر، وعليك بجلسة
الاستغفار في السحر؛ لأن الله يقول: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ
بِالْأَسْحَارِ﴾ [سورة آل عمران: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ
هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [سورة الذاريات: ١٨]، ثم تهيأ لصلاة
الفجر، وقد توضأت الوضوء السنّي الشرعيّ الذي
علّمك رسولك ﷺ، وسوف يأتي كلامٌ عن الوضوء.



الانطلاق إلى صلاة الفجر

وعليك عند خروجك من منزلك أن تذكر دعاء الخروج: «بسم الله، آمنت بالله، اعتصمت بالله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله»، وتقول أيضًا: «اللهم إني أعوذ بك من أن أضلّ أو أضلّ، أو أزلّ أو أزلّ، أو أظلم أو أظلم، أو أجهل أو يُجهل عليّ»، وإذا مشيت إلى المسجد فهو أفضل، وعليك بالتبكير فلا تتأخر، فكلما تقدّمت كنت من السابقين عند الله، وقل في طريقك: «اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي بصري نورًا، وفي سمعي نورًا، وفي لساني نورًا، وعن يميني نورًا، وعن شمالي نورًا، ومن فوقني نورًا، ومن تحتي نورًا، ومن أمامي نورًا، ومن خلفي نورًا، واجعل في نفسي نورًا»، وتبدأ عند المسجد بالدخول برجلك اليمنى فتقول داخلاً: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك»، «أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم»،

ثم صلّ ركعتي الفجر وتذكّر قوله ﷺ: «ركعتا الفجر خيرٌ من الدنيا وما فيها»، وهو حديث صحيح.

فقف عند هذا الفضل ولا يفوتك، وتفكّر في هوان الدنيا عند الله، وفضل ركعتي الفجر (السنة القبليّة)، وتذكّر أنّك كلّما تقدّمت إلى المسجد فإنّ في انتظارك دعاء لك من الملائكة: «اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، اللهم تب عليه».



متى تكون في ذمة الله؟

صح عنه ﷺ عند مسلم: «من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله»، تأمل هنا، يعني في حفظ الله ورعاية الله، أنك إذا حرصت على صلاة الفجر وصلّيتها في وقتها حفظك الله وتولّاك ورعاك وهداك وسدّدك سائر اليوم، فهل هناك عاقل يفوّت عليه هذه الفرصة العظيمة، والمنحة الربّانية، والغنيمة الجليلة من ملك الملوك سبحانه؟! أنك إذا صلّيت الفجر في وقته مع الجماعة كان معك وتولّاك وسدّدك وهداك ورزقك ونصرّك، فاحرص على صلاة الفجر؛ لأنّها الصلاة الفارقة بين المؤمن والمنافق، وكان ﷺ يتفقّد الناس فيها، وكان المنافقون يتخلّفون عنها وعن صلاة العشاء؛ لأنّها في وقت نوم وتعب، وليس عندهم من الإيمان واليقين ما يوقظهم لهاتين الصلاتين، فابدأ برنامجك بصلاة الفجر وأنا أبشّرك أنك إذا حافظت على صلاة الفجر خاصّة في جماعة فإنّ الله سوف يفتح لك آفاق ذاك اليوم، وسوف يكون يومًا بهيجًا سعيدًا، وسوف تكون فيه راضيًا مرضيًّا، وتُسدّد في أهلك

ومالك وعملك ونفسك؛ لأنك في حفظ الرحمن الرحيم
وفي ولايته، وقد افتتحت يومك بفريضة مباركة أدّيتها
لربك، فأقول لك: بشرى لك، وقرّة عين، وطاب يومك
كلّه، وأسعد الله صباحك.



وَقُرْآنَ الْفَجْرِ

احرص على تلاوة القرآن فجرًا أو سماعه من الإمام وهو يتلو؛ لأنَّ النفس مستعدَّة بعد النوم والراحة، كما قال تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [سورة الإسراء: ٧٨]، قالوا: تشهد الملائكة لأنَّه وقت صفاء الذهن، وإقبال الروح، وانسراح النفس، فليكن أوَّل ما يطرق مسمعك في يومك الجديد المولود سماع آيات بيِّنات، أو تلاوتها بتدبُّر؛ لتفتح سجل يومك بكلام الباري جلَّت قدرته، وتقدَّست أسماؤه، واحرص على حضور القلب في الصلاة فإنَّه المقصود الشرعي من ذلك، واعلم أنَّه لن يكتب لك من صلاتك إلَّا ما حضرت مع ربِّك، وخشعت لمولائك: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٢].



الله أكبر من كل شيء

إذا قلت: الله أكبر في صلاتك فتذكر وقف، وقفة انتباه! ما معنى الله أكبر؟ ولماذا اختيرت هذه الكلمة دون غيرها؟ الله أكبر؛ لأنك إذا دخلت في الصلاة تذكرك (الله أكبر) بأن الكبير المتعال هو من تناديه الآن وتتلو كتابه وتقدّسه وتسبّحه، فهو أكبر من كل شيء تركته خلفك؛ أكبر من الأهل والمال والوظيفة والشركة والمؤسسة والناس والدنيا والكون جميعاً، فلا تتشاغل إلا بالكبير المتعال، فإذا راودتك نفسك أن تخرج إلى الدكان أو السوق أو الجامعة أو المستشفى أو المدرسة فتذكر الله أكبر، فهو الكبير المتعال الذي يجب عليك أن تُحضر قلبك أمامه.

بالله عليك لو كنت أمام ملك من ملوك الدنيا وله عظمة وسلطة وجبروت ثم أخذ يكلّمك وحدك وأنت واقف أمامه، وكلما سألك أجبتَه بشرود ولم تنتبه لسؤاله، وكلما خاطبك وجدك لاهياً ساهياً تفكّر في موضوعات أخرى، كيف يكون موقفك أمام هذا الملك البشر الإنسان الفاني؟ فكيف موقفك أمام الواحد القهّار، ذي الجلال والإكرام، رب الملكوت والجبروت؟ لا إله إلا هو، قارن وفكّر.

أذكار الصباح

أوصيك بالعدة والدروع الحصينة، والأسوار الواقية وحبل النجاة، وهي أذكار الصباح وأذكار المساء، وهي محفوظة من رسولنا ﷺ، علّمها الأمة قولاً وفعلاً، والحمد لله كتبت فيها كتيبات، وهي في متناول يدك وأمام بصرك، حتى لو تقرأها من خلال جوالك أو تقول ما تيسر منها، فهي التي أوصى بها العلماء وتواصى بها الصالحون، ولها من الآثار في حفظك وانسراح صدرك ودفع الأذى عنك وتسديدك ورعايتك في طيلة يومك ما يفوق الوصف، فلا تنهاون بترك أذكار الصباح؛ لأنها الأسوار المنيعة، والجسور الموصلة لك إلى رضوان الله، وإلى البركة والرزق والفتوحات، وأنت إذا حرصت عليها أياماً صار عندك انتباه ذهني، وإدمان ولهج بها، ولا يمكن أن تتركها، فإن من داوم على شيء أعانه الله عليه وسدّده وألهمه رشده وتولى أمره سبحانه، وصارت المعلومة الآن كهذه الأذكار وغيرها تخرج لك بضغطة زر لتكون أمام عينيك، ولا بأس أن تقرأها نظراً، وهي لن تستغرق منك إلا دقائق، وقد أذهبت الساعات الطوال في حديث فارغ لا خير فيه ولا نفع!.

بركة البكور

صح عنه ﷺ أنه قال: «بارك الله لأمتي في بكورها» أي: في أول يومها، فأَي عمل نافع مفيد تؤديه من أول اليوم يكون أكثر بركة ونجاحًا وأكثر عطاءً، وأنا تابعت سير عظماء المسلمين من العلماء والعباد والزهاد والحكام العدول والقضاة والكتّاب فوجدتهم يوصون بالبكور في العمل، ويا للصباح ما أجمله! وما أبركه! خاصة إذا أخذت كفايتك من النوم ليلاً، فإنك تقوم بنشاط وانسراح، وقوتك متوفرة، وذهنك كالنهر الزلال العذب، وذاكرتك متوقدة، وروحك حاضرة، فأنجز من الصباح عملك، وأنا جربت ذلك في حياتي؛ فإن الفكرة التي أكتبها في الصباح بعد الفجر تكون في الغالب رائدة ومتميزة عما أكتبه في باقي ساعات النهار، والتلاوة التي أتلوها في الصباح لها وقع خاص في قلبي، وكذلك التسييح والمطالعة العامة، وقضاء الأعمال والأشغال، وقس على ذلك الذهاب إلى الوظيفة بتبكير أو إلى المدرسة؛ فإن هذا الأداء سوف يكون أرقى أداء

تؤديه سائر اليوم، وقد دعا لك رسولك ﷺ بالبركة،
حتى إن راوي هذا الحديث الصحابي أبا صخر الغامدي
أخذ يتاجر ويبكر للتجارة، قال: فكثرت أمواله حتى لا
يدري أين يضعها؛ لأنه تفاعل بدعاء النبي ﷺ: «بارك الله
لأمتي في بكورها».

أقول لك: البكورَ البكورَ، والبدارَ والبدارَ، ومع
الصباح تملك مفتاح النجاح والفلاح والصلاح.



اقتطف حسنات في طريقك

وأنت ذاهب إلى المسجد أو إلى عملك أو إلى الجامعة أو المستشفى أو السوق، فلا تنس أن تقتطف حسنات تنفعك عند الله قد بينها رسولنا ﷺ؛ كإمالة الأذى عن الطريق، والسلام على الناس، ورد السلام عليهم، والتبسم في وجوههم، والرفق بالضعيف، ودلالة الحائر على الطريق، والوقوف مع المسكين، وإسداء كلمة جميلة إلى المصاب، وملاطفة اليتيم، وعيادة المريض إن حصل مع كثرة الدعاء والاستغفار، وغض البصر عن المحرمات، وحفظ اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب وكل فحش؛ فإن هذه عبودية الطريق والسوق والأمكنة العامة، مع ملاحظة أن تكون وقورًا متزنًا كما قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [سورة الفرقان: ٦٣]، وأن تحافظ على الذوق العام وعلى مصالح المسلمين؛ فتشارك في حفظ الحدائق العامة والخدمات الحكومية ونحو ذلك؛ لأنك عضو صالح في المجتمع، وأجرك على الله إذا استصحبته النية، وسعيت فيما ينفع، فإن الله يقول: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [سورة الأعراف: ٥٦]، وهذا يشمل كل عمل يصلح الأرض وينفع أهلها.

ركعتا الضحى

إذا انتصف النهار، وارتفعت الشمس، وسار الناس في أشغالهم وهوهم ولعبهم فلا تنس ركعتي الضحى التي أوصى بها نبيك ﷺ، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «أوصاني خليلي ﷺ بثلاث: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام»^(١). فقم وتوضاً فإنك سوف تجد دقائق معدودة في أثناء عملك، سواء كنت أستاذاً أو طبيباً أو موظفاً أو مهندساً أو جندياً أو فلاحاً أو طالباً أو غير ذلك، سوف تجد دقائق في وسط النهار من العاشرة إلى الحادية عشرة صباحاً، فتوضاً وصلّ ركعتين لربك يَعدُّ لك الأمل، وتنفض الكسل، وتشرق نفسك بالتفاؤل وتعود إليك، وتهدأ أعصابك، وتأخذ قوة ومدداً وفتحاً، وينشرح صدرك، ويتسهّل أمرك؛ لأن هاتين الركعتين محطة تنزود فيها بوقود البركة الربانية والفتح الإلهي، وجرب ذلك فإنك، إن كنت مغضباً في العمل أو في الدوام قبلها فسوف تعود إلى الرضا، وإذا

(١) متفق عليه.

كنت مكدّر الخاطر قبلها فسوف يحصل بعدها انشراح
وسرور، فلا تغفل عن هاتين الركعتين، واجعلها في
ميزان حسناتك تنفعك يوم النشور ويوم العبور، ويوم
يُبْعَثَر ما في القبور ويُحْصَل ما في الصدور، هناك تتمنى
أنك صليت ولو ركعة، وسجدت ولو سجدة، يوم لا
ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.



فقط في ثانية

صح عن الرسول ﷺ أنه قال: «الحمد لله تملأ الميزان»،
يعني قول كلمة الحمد لله تملأ ميزان الله الذي وسع
السموات والأرض، فإذا قلت: الحمد لله أخذت منك
ثانية فقط، هل تبخل على نفسك بكلمة إذا قلتها فإنها
تملأ ميزان الرحمن؟ ومثلها سبحان الله، ولا إله إلا الله،
والله أكبر، فتصدق على نفسك بثانية واحدة فقط.

فكر أن هذه الثانية قد تكون هي سعادتك إلى يوم
تلقى الله، هل تعلم مثلاً أن قولك: لا إله إلا الله؛ بثانية
قد تكون طريق فلاحك، وخلودك في جنات النعيم؛ فإن
الرسول ﷺ قال: «أَسْعِدُ النَّاسَ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ»^(١)، وصح
عنه أنه ﷺ قال: «يقول الله تعالى لموسى ﷺ لما قال له:
قل: لا إله إلا الله، قال: يا موسى، لو أن السموات السبع
والأراضين في كفة -أي: كفة الميزان- ولا إله إلا الله في
كفة مالت بهن لا إله إلا الله».

(١) رواه البخاري.

هل تعلم أن هذه الكلمة وأخواتها تقول الواحدة منها في ثانية واحدة فتنتقلك إلى عالم السعادة والنجاة، وتنقلك من عالم اللهو والضياح واللغو إلى عالم اليقين والإيمان والاطمئنان، ما أعظم ثمن الزمن! وما أجل قيمة الوقت! عجباً لنا نبخل حتى بالثانية على أنفسنا، والواحد منا مستعد أن يتكلم خمس ساعات في سمر طويل، وفي استراحة، وفي حفل فوضوي، وفي أشغال الدنيا، وأخبارها، وأسواقها، وأسعارها، وخلافاتها، ومشكلاتها، وأزماتها، ولكنه يصعب عليه أن يقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر التي يقول عنها النبي ﷺ كما في صحيح مسلم: «لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس»، ويقول ﷺ كما في صحيح مسلم: «أحب الكلام إلى الله أربع، لا يضرك بأيهن بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

وفي ثانيتين فقط تقول: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، التي يقول عنها الرسول ﷺ في الصحيحين: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان

إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم،
وفي أربع ثوانٍ تقول الكلمات الأربع: سبحان الله،
والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر التي يقول ﷺ
عنها: إنها خير مما طلعت عليه الشمس.



في الدقيقة الواحدة تكسب ألف حسنة

إِنْ مَنْ يُفَكِّرْ كَثِيرًا فِي الْآخِرَةِ، وَيُؤْمِنُ بِلِقَاءِ اللَّهِ تَصْنَعُ
لَهُ الدَّقِيقَةُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَلِذَلِكَ صَحَّ عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ مُسْلِمٍ
أَنَّهُ قَالَ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ فِي يَوْمِهِ أَلْفَ حَسَنَةٍ
أَوْ يُحِطَ عَنْهُ أَلْفَ خَطِيئَةٍ؟ قَالُوا: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:
يَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ مِائَةَ مَرَّةٍ تَكْتُبُ لَهُ أَلْفَ حَسَنَةٍ، أَوْ تُحِطَ
عَنْهُ أَلْفَ خَطِيئَةٍ».

تصوّر هذا الأجر العظيم في دقيقة واحدة ستين ثانية
فقط، تقول: سبحان الله ترددها مئة مرة، الله من فضله
وجوده وكرمه يضاعف لك الحسنة بعشر أمثالها فيكتب
لك مئة حسنة. كم من دقائق فاتتنا! وكم من أوقات
خسرناها! وإني أجزم جزمًا أن غالب الناس تمر عليهم
أربع وعشرون ساعة ولا يقفون دقيقة واحدة ليقولوا:
سبحان الله مئة مرة، قد يسبحون ولكن في أوقات متفاوتة
بفتور وذهول وشرود، ولكن أن يتقيدوا ببرنامج وهيئة
مخصوصة للذكر وإقبال وحضور فهذا في القليل النادر،

والسبب أنهم يخططون ليل نهار للدنيا ومعاشها وكأنهم
مُخلّدون فيها، حتى يقول أحد الصالحين متواضعًا
ومتأسفًا على حاله وحال الناس: والله إن من يبصرنا
وينظر إلى حالنا يظن أن عندنا موثقًا من الله، أنا إذا متنا
فسوف نعود إلى الدنيا مرة ثانية.

وغفلة الإنسان عن مصيره الأبدي وعن رحلته
الأخروية تجعله ينفق الأوقات في القيل والقال والهذيان،
والكلام الذي لا نفع منه، فأرجو الإمعان في قيمة
الوقت، وأن نستثمر كل ثانية في أعمالنا؛ فإن الثانية إذا
ذهبت فلن تعود أبدًا.



تاج الأذكار في خمس دقائق

هل لك أن تمنح نفسك خمس دقائق فقط؛ لتقول أعظم ذكر صحَّ عنه ﷺ وهو تاج الأذكار، وتحفة الأوراد النبوية، وأفضلها وأجلها، وأكثرها نفعًا وبركةً، ولن يأتي في حديث أكثر منه أجرًا ومثوبةً عند الله؟ وهو ما ورد عنه ﷺ في الصحيحين أنه قال: «من قال في يوم: لا إله إلا الله وحده لا شريك الله له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير (١٠٠) مرة كان كمن أعتق عشر رقاب، وكتبت له (١٠٠) حسنة، ومحيت عنه (١٠٠) سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به، إلا أحد عمل أكثر مما عمل».

تصوّر أن هذا الذكر يأخذ منك خمس دقائق أو أقل، ولكن كم نسبة من يحافظ عليه من المسلمين والمسلمات وهم يقرؤون الأجور ويسمعون هذه الغنائم وهذا الثواب العظيم؟! ولكن الانغماس في اللهو ومطاردة أسباب الدنيا لا يمنح أحدهم أن يقول هذا الذكر كل يوم، وكم سألت من صديق وزميل هل أتيت بهذا الذكر؟ فمنهم

من يقول: لا، ومنهم من يقول: أتيت ببعضه، ونادرًا من يقول: نعم أتيت به كله.

الذي أريده منك الآن أن تعيد قراءة الحديث مرة ثانية، وتقف معه وقفة تأمل وتسأل نفسك: هل هو صعب عليك كل يوم أن تأخذ خمس دقائق أو أقل سواء في الصباح أو في المساء، وأن تترك جوالك والناس من حولك وتخلو بنفسك؟ أو أن تقول في مكانك في أي موضع كنت، سواء كنت في بيتك أو في السيارة أو في الطائرة أو في المكتب أو في السوق؛ لتحصل على هذه الجوائز العظيمة التي ضمنها لك رسولك الكريم، والحديث متفق عليه عند البخاري ومسلم، وكان الصالحون يتواصون بهذا الحديث ويكررونه ويعيدونه، ولكن القلوب التي عشقت حطام الدنيا لا تعي، كما قال المتنبي:

مَنْ يَهْنُ يَسْهَلِ الْهَوَانُ عَلَيْهِ
مَا لَجِرَحٍ بِمَيِّتٍ إِسْلَامُ

والمُخَدَّرُ يَبْنِجُ عَشْقَ الدُّنْيَا لَا يَفِيْقُ إِلَّا عِنْدَ الْمَوْتِ،
فنسأل الله أن يصححنا من رقدة الغافلين، وأن يوقظنا من نوم اللاهين، وأن يحيي قلوبنا من مودة المعرضين.

عبودية كل مجلس

كل مجلس تجلس فيه فعليك عبودية شرعية نبوية أخبرك بها سيد ولد آدم ﷺ، وهي أن تقول إذا جلست أي مجلس وأي مكان: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق».

فقد صح عنه ﷺ أنه من قالها في مجلس لم يصبه سوء في ذاك المجلس حتى يقوم، ومنها الصلاة عليه ﷺ في كل مكان تجلس على الأقل مرة واحدة، ففي الحديث: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ فِيهِ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةٌ، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ»^(١) أي: حسرة وندامة، ومنها كفارة المجلس أن تقول في كل مجلس تجلسه: «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك».

إذن ثلاث عبوديات لا تأخذ منك إلا دقيقة واحدة! تصور دقيقة واحدة! فمن يتذكر لقاء الله يجعل هذه الوصية نصب عينيه، تجلس في مجلس عام، مجلس

(١) رواه الترمذي.

خاص، مع أهلك، مع أصدقائك، في مقعد السيارة، في
مقعد الطائرة، في جلستك بالحديقة، في أي مكان اجعله
معك؛ لتجد السعادة والأجر والمثوبة، ويحميك الله من
الذنوب والخطايا.



عبودية الأذان

كلنا يسمع الأذان إذا رفع النداء إلى الصلاة، ولكن القليل من يأتي بالسنن الواردة في متابعة الأذان، وهي خمس سنن:

أن تتابع المؤذن فتقول كما يقول المؤذن إلا عند (حي على الصلاة.. حي على الفلاح) فتقول: لا حول ولا قوة إلا بالله.

إذا انتهى تقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

أن تقول: رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا.

أن تصلي على نبيك ﷺ.

أن تأتي بهذا الدعاء العظيم الذي صحَّ عند البخاري؛ لتجب لك شفاعته ﷺ يوم القيامة وهو «اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته».

فهذه السنن الخمس إذا درّبت نفسك عليها، ومرّنت
ذهنك عليها فسوف يعينك الله - عزّ وجل - على الإتيان
بها، ووصيتي لك وأنت تتحدث مع أحد أو تتصل
بجوالك أو في اجتماع عند سماع الأذان أن توقف كل
شيء، وتواصل المتابعة؛ لأنك في عبودية، حتى نقل
عن السلف أنهم كانوا يتابعون الأذان كما يتابعون تلاوة
القرآن إذا تلاه تالٍ، وهذه فرص عظيمة وكنوز ضخمة
لمن عنده همّة ورغبة في الأجر، وتقوى لربه، وانتظار
للقائه سبحانه.



عبودية الطعام

هل فكّرت في نفسك وتأملت ماذا يلزمك كمسلم عند تناول الطعام؟ وماذا ورد فيه عن حبيك ونيك ﷺ؛ لتكون من الطاعمين الشاكرين؟ فاعلم أن آداب تناول الطعام المأثورة في السنة تقوم على:

أن تقول: (بسم الله) في أول الطعام؛ لئلا يشاركك الشيطان في طعامك، وليكون فيه بركة ونفع لك.

أن تأكل بيمينك سنة نبيك ﷺ، ولا تأكل بشمالك إلا لعذر.

أن تأكل مما يليك من الصحن والصحفة، كما صح عنه ﷺ أنه قال: «يا غلام، سمّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك».

أن تحمد الله إذا انتهيت من الطعام، وتأتي بالأدعية المأثورة في ذلك، مثل: «الحمد لله كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، غير مكفيٍّ ولا مُودّع ولا مُستغنى عنه ربنا»، ومثل: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين»،

ومثل: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي!».

حينها تكون أدّيت شكر النعمة، وعرفت ما يلزمك، ووجدت الصحة والعافية، وحزت الأجر والثوبة، فقد صحَّ عنه عليه السلام أنه قال: «إن الله يرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها»، وقد صح عنه عليه السلام أنه قال: «الطاعم الشاكر مثل الصائم الصابر».

وَأَلَّا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ وَاقْفَا، وعند الشراب أن تتنفس ثلاث مرات خارج الإناء؛ فإنه أهنا وأمرأ وأبرأ.



عبودية اللباس

اللباس نعمة من نعم الله، وهو الذي سهّله وهيأه لنا، والمسلم يفكر في لباسه، ويسأل عن هدي نبيه ﷺ في ذلك؛ لأنه القدوة الذي يوصلك إلى رضوان الله وجنته، ويبعدك عن غضبه وناره، فمنها إذا لبست تقول: «بسم الله، الحمد لله الذي كساني ما أوري به عورتي، وأتجمل به في حياتي»، ومنها: «اللهم إني أسألك خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له».

ومنها أن تلبس اللباس الحلال؛ فيجتنب الرجل الذهب والفضة والحريز؛ لأنه للنساء، ويتجنب الإسبال، والتشبه بالنساء وبالكفار؛ لأن اللباس المتبع للرسول ﷺ يكون لباساً شرعياً سنياً، حينها يستره الله ما دام عليه اللباس، ويزيده من فضله، ويكتب أجره، وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «كُلْ وَاشْرَبْ وَابْسُ وَتَصَدَّقْ فِي غَيْرِ سَرَفٍ وَلَا خَيْلَةٍ».



استغفر للمؤمنين والمؤمنات

حَسَنَ بعض العلماء حديث: «مَنْ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً»، وسوف تجني من استغفارك للمؤمنين والمؤمنات منافع عظيمة، منها: هذا الحديث الذي ورد في الثواب، ومنها أن الملك يدعو لك، فقد صحَّ عنه عليه السلام أنه قال: «إذا دعا مسلم لمسلم، قال الملك: آمين ولك بمثل»، ومنها أن الله يرزقك سلامة الصدر واطمئنان القلب؛ لأنك إذا استغفرت للمؤمنين والمؤمنات فمعنى ذلك أنك تحب الخير لهم وتكره الشر لهم، فيكافئك الله بسلامة الصدر والراحة والاطمئنان والسكينة؛ لأنه لا بد أن يصلك أذى من الناس كما يصلهم منك أنت أيضاً، فإذا ساحتهم وعفوت عنهم واستغفرت لهم جازاك الله بأحسن من ذلك؛ فأذهب همَّك وغمَّك وحزنك، وأزال الحسد والحقد والضغناء والبغضاء والشحناء من صدرك، وجرب هذا، فقد جرَّبه الصالحون، وأعلنوا

أنهم ما وجدوا الأمن والسرور وانشرح الصدر إلا
بعد ما استغفروا كثيراً للمسلمين والمسلمات والمؤمنين
والمؤمنات. أسأل الله أن يغفر لي ولوالدي وللمسلمين
والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات.



تذكر يوم الفصل

من العبوديات التي غفلنا عنها، وقد نبّه عليها القرآن والرسول ﷺ، والصالحون من عباد الله، وتواصوا بها تذكر الآخرة، وتذكر مشاهد القيامة والاستعداد لذلك، وليس هذا عيباً، ولا تصدّق من يهون هذه المسألة أو يحذرك منها من أهل اللهو واللعب واللغو، فيقول بعضهم: لا تكدر علينا أنسنا، ولا تضيق علينا المجلس، ودعنا نمرح ونسرح ونفرح ونمزح؛ فإن هذا ضرب من الغفلة والغرور، ويفعلها اللاهون اللاغون المنغمسون في الخطايا والذنوب، أما من عنده ضمير ويقظة فإنه يعلم أنه سوف يموت ويلقى ربه، فهل جلست ولو لدقائق معدودة كل يوم وتذكرت ذاك اليوم العظيم الذي فيه يُبعث ما في القبور، ويُحصّل ما في الصدور، ويُدعى بالويل والثبور، وقاسمة الظهور، وهو يوم الطامة الكبرى، ويوم الغاشية، ويوم الزلزلة، ويوم القارعة، ويوم التغابن، ويوم الحسرة، ويوم الجمع، ويوم الفصل؟ واقرأ تلك الآيات والأحاديث في ذلك اليوم المشهود الذي سوف

تراه وتعيشه، أفليس من العقل والحكمة أن تتذكّر من
الآن لتدبّر أمرك، وتجهّز نفسك، وتستغفر من ذنوبك،
وتحسّن خلقك، وتقضي دينك، وتتهياً للقُدوم على ملك
الملوك جلّ في علاه تقدّست أسماؤه؟

لا تنسَ جلسة التفكّر في اليوم الموعود.



شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا

صح عنه ﷺ أنه سئل: «أراك شبت يا رسول الله؟ قال: شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا»، وذكر ﷺ سورة التكويد وسورة الانشقاق وسورة الانفطار وسورة المرسلات، وعم، وغيرها، وهي السور التي فيها ذكر القيامة والمحشر واجتماع الخلائق لفصل القضاء، وتلك الأهوال أعاننا الله عليها، فإذا كان رسولنا ﷺ الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهو صاحب الشفاعة الكبرى، والمقام المحمود، والحوض المورود، واللواء المعقود يقول هذا، فكيف بنا نحن؟ ما لهذه الغفلة التي سرت فينا ودبت في أوصالنا؟! نقرأ هذه المشاهد ونكررها صباح مساء ولا تحرك فينا ساكناً؟ ما للعيون لا تدمع؟ ما للقلوب لا تتفجع؟ ما للأرواح لا تصدع؟ لماذا هذا الخمول والشروء والإعراض والاغترار والغفلة واللهو ونحن سوف نواجه هذا المصير، الذي بكى منه الأنبياء، وخافه المرسلون، ووجل منه الصالحون؟ فكيف بنا نحن؟! هل عيب أن تقطر دموعك وأنت تقرأ سورة التكويد؟ وأنا

آمل منك الآن أن تفتح على سورة التكوير ﴿إِذَا الشَّمْسُ
كُوِّرَتْ﴾ ﴿١﴾ [سورة التكوير: ١] هذه السورة القصيرة، وتتلو
آياتها وتتصور المشاهد أمام عينيك؛ فإنه والله وتالله وبالله
سوف تراها رأي العين، فهل من عدة؟ وهل من يقظة؟
وهل من عودة؟



أول ليلة

تذكر معي أول ليلة تدخل فيها القبر، يترك الأهل
والمحبون والأصدقاء، فتبقى وحيداً في ظلمة ذاك المكان
الضيق الموحش، لا مؤنس، لا ابن، لا زوجة، لا أم، لا
أخ، لا أخت، لا قريب، ولا حبيب، وتواجه بثلاثة أسئلة:

﴿من ربك؟﴾

﴿من نبيك؟﴾

﴿ما دينك؟﴾

فإن نجوت فأنت المفلح السعيد، وإن رسبت فالويل
والثبور. نسأل الله العافية والسلامة.

والمقصود من هذا أن تتيقن أنك سوف تواجه هذه
الليلة طال العمر أو قصر، وقد مرّت بالأنبياء والخلفاء
والحكماء والشعراء والعلماء والأدباء والأمراء والوزراء
والأغنياء والفقراء على مر الدهر؛ إنما أنت المسؤول أن
تنجو من تلك الليلة؛ لأن القبر أول منازل الآخرة،
فمن نجا منه فقد نجا وأفلح، ومن تعثر فيه فقد خسر

وهلك، وما هي إلا أن تتذكّر تلك الليلة، وتعتبر لمن
سار من أجدادك وآباءك وأهلك وأصدقائك كيف
دفتهم؟ وعدت إلى بيتك بعد فترة تضحك مع أسرتك
وأطفالك وتمرح، ونسيتهم وهم مرتهنون هناك
بأعمالهم، رحمننا الله وإياهم.



أعمال يوم الجمعة

أنا أنوع لك الطرح، ولا ألتزم بطريقة الأبواب التي في الكتب أو ترتيب الموضوعات؛ لتكون أكثر تنوعاً واشتياقاً للمطالعة، وعبودية يوم الجمعة ينبغي أن تذكره وتحرص عليه؛ لأنه أفضل أيام الأسبوع، وفيه مواسم للخيرات، وحقول الصالحات والثواب والأجور، ومنها:

﴿١﴾ من سنن وآداب يوم الجمعة:

- ١- الغسل لذاك اليوم.
- ٢- الطيب.
- ٣- أن تلبس أحسن ما عندك من الملابس.
- ٤- أن تهتم بالسواك وتنظيف الفم.
- ٥- أن تقرأ سورة الكهف.
- ٦- أن تتصدق بصدقة ولو قليلة.
- ٧- أن تكثر من الصلاة على النبي عليه السلام في ليلة الجمعة ويومه.

٨- التبكير إلى المسجد يوم الجمعة، وكلما تقدّمت كان أعظم للأجر.

٩- أن تنصت لخطبة الجمعة وتعيها بقلبك.

١٠- أن تحرص على ساعة الاستجابة عصر الجمعة حتى الغروب؛ فتملاً تلك الساعة بالأدعية والأذكار والتلاوة.

فإن يوم الجمعة كنز دفين، لم يكشفه إلا القليل من الناس.



لا تنسَ حجة الإسلام

كتب الله الحجَّ على المسلمين والمسلمات للمستطيع القادر، وبعض الناس يسوّف ويؤخّر الحج وهو قادر مستطيع حتى يفاجئه الموت أو المرض، فيكون عليه إثم وذنب؛ لأنه فرط وفوّت هذا الركن العظيم، فحجة الإسلام في العمر مرة واحدة، فعليك من أول فرصة تحين لك وتتهيأ لك الظروف فيها أن تنطلق لتؤدي حجة الإسلام التي قال ﷺ عنها: «من حجّ فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»، وصحّ عنه أنه قال ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

فبادر بادر، ولا ترض ولا تستسلم للأعذار والتأخير والتأجيل بحجة حتى تأتي فرصة أخرى، كما فعل اللاهون والمفرطون حتى ماتوا ولم يحجوا، وكثير من الناس إذا مات لا يحج عنه أبناؤه ولا أهله؛ لأنهم في شغل آخر عنه، وقد نسوه تمامًا إلا من رحم الله.



شهر رمضان فرصتك الأخيرة

صح عن ﷺ أنه قال: «رَغِمَ أَنْفُهُ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فلم يغفر له»؛ لأنه موسم للعتق من النار والمغفرة والرحمة والتوبة من الله، ومع ذلك يفرط فيه كثير من الناس، فاعتبر كل رمضان يمر بك أنه فرصة أخيرة لك قد لا تتكرر، فتملؤه بالأجر والمثوبة، وتدخل شهر رمضان وأنت مستعد للطاعات، وعندك برنامج لهذا الشهر، مثل: برنامج ختم القرآن، قرار بالمحافظة على الصلوات الخمس جماعة، قرار بقيام رمضان مع الناس، قرار بكثرة ذكر الله ودعائه، ومنها: اجتناب المحرمات من الغيبة والنميمة والكذب والزور ونحو ذلك، ومنها: الإفطار مع الأسرة، والدعاء قبل الإفطار، ومنها: هجر السهر في الملهيات ومقاطعة الأفلام والقنوات، وهجر النوم الطويل في النهار حتى تحس بلذة الصيام. وتذكر ثلاثة أحاديث صحّت عنه ﷺ، كل حديث خير من الدنيا وما فيها، قال ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه»، وقال ﷺ: «من قام رمضان

إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه»، وقال ﷺ: «من
قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه»،
واعلم أن الجوائز سوف تُوزع يوم العيد من الله - عزَّ
وجل - لعباده، فاحرص أن تكون من الفائزين.



حقوق نبيك ﷺ .. عليك

هل سألت نفسك: ما حقوق النبي ﷺ عليك والتي سوف يسألك الله عنها؟ خاصة أنه ﷺ سبب في نجاتك، وفي سعادتك، وفي هدايتك، وفي دخولك الجنة برحمة أرحم الراحمين، وفي إخراجك من الظلمات إلى النور.

لا بد أن تسأل نفسك كل يوم: ما حقوقه ﷺ عليّ؟ وهل أكملتها؟

فمنها تصديقه ﷺ فيما أتى به، وأنه نبيّ ورسول من عند الله، وأتباع سنته، والاهتداء بهديه، والافتداء به في كل شأن من شؤون الحياة، وكثرة الصلاة والسلام عليه دائماً وأبداً، وتعلم سنته وتعليمها للناس، والتحاكم إلى شرعه، والرضا بمنهجه في الحياة، وحبّ من يحبه، وبغض من يبغضه.

إن كثيراً من الناس يقرؤون للعظماء والزعماء والعلماء والحكماء، ولكنهم لم يخصصوا لسيد ولد آدم ﷺ الذي هو أشرف البشريّة ولو دقائق من يومهم،

وهؤلاء سوف يعودون بالخسران والخذلان، وينتهي بهم
الحال إلى الأسف والضياع. نسأل الله أن يثبّتنا على سنته،
وأن يحشرنا في زمرة، وأن يسقينا من حوضه شربة لا
نظماً بعدها أبداً.



يقطر عليّ في القبر

لا أنسى هذه العبارة ما حييت، وهي عبارة (يقطر عليّ في القبر)، سمعتها من شيخ عابد كبير كان يبني المساجد، وقد بنيت مسجدًا عن طريقه -غفر الله له ورحمه- وقد ارتحل إلى ربّه، فكان يقول إذا أعطاه أحدٌ مالًا ليني له مسجدًا: عسى أن يقطر عليّ في قبري، بكلّ بساطة، وبكلّ وضوح وصراحة ومباشرة يقول هذه الكلمة: (يقطر عليّ في قبري)، ومات ولقي ربّه -غفر الله لنا وله- ولكن عبارة (يقطر عليّ في قبري) صار لها إحساس عندي، وشعور داخليّ خاص، وتذكّرتّه الآن وهو في قبره، وتقطّر عليه أعماله الصالحة كأنّها غمامة تمطر عليه، وتقطّر عليه، وانظر كيف اهتمّ لنفسه، وقَدّم لنفسه، وخطّط لآخرته، وقَدّم كثيرًا من ماله؛ ليجده عند أرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين.

وكثير من الناس لم يقدّم شيئًا يقطر عليه في قبره، وإنّما آخرها للورثة، وقد يسكن في قصوره ودوره وحدائقه زوجات أبنائه وأزواج بناته، وكلّ من هبّ ودبّ، وربّما لا يترخّون عليه، ولا يذكرونه بخير وهو يُحاسب بهذه الأموال التي تركها لهم.

اذهب بقلب سليم

وصيّتي لي ولك أن نذهب إلى الله بقلوب سليمة، فلن
ينجو ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [سورة الشعراء: ٨٩].

اغسل قلبك من الآن قبل أن ترتحل إلى ربك من الحسد
والحقد والبغضاء والشحناء؛ فإنها أمراض قاتلة، وحيّات
وعقارب تسكن القلوب الخربة المعرضة عن الله، وينبغي
لنا أن نتطهر بقلوب سليمة طيبة نقيّة قبل أن يفاجئنا الموت،
فقد صحّ عنه ﷺ أنّه قال: «إنّ الله لا ينظر إلى صوركم ولا
أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

من الآن ابدأ في تخطيطك للآخرة بعملية تنظيف
لقلبك، تفقد القلب هل فيه شبهات.. شهوات.. شكّ..
ريبة.. كفر -والعياذ بالله- حقد أو حسد أو بغضاء أو
شحناء، وابدأ بعملية إزالة وتنظيف وتطهير، ثمّ املاؤه
بذكر الله، والإيمان به والتوبة إليه، حتّى إذا أتاك الموت
يكون عندك قلب يستأهل رحمة الله، ويستحق مغفرة
الله، وتنجو يوم العرض على الله.

إننا ننظف ملابسنا بكثرة وبمبالغة وهذا شيء جميل،
ولكننا نهمل الأهم والأخطر وهو القلب، ولو اهتممنا
بقلوبنا عشر ما نهتمّ بملابسنا لأفلحنا ونجّحنا.

اللهمّ طهّر قلوبنا من كلّ معصية، ونقّها برحمتك يا
أرحم الراحمين.



بين ١ في المئة إلى ١٠ في المئة

هل خطّطت تخطيطاً مالياً بصدقة تنفعك عند الله؟ أن تجعل من دخلك فقط (من ١ إلى ١٠ في المئة) على حسب ما تستطيع بعد أن توفّي ديونك ونفقة أهلّك، أن تدّخر لك عند الله نصيباً مقبولاً، فمن راتبه (٥٠٠٠) ريال لو أخرج (١ بالمئة) في الشهر لادّخر (٥٠) ريالاً للصدقة، والكثير لا يتصدّق بخمسين ريالاً؛ لأنّ البعض سوف يقول: إنّها قليلة! لكن ائتوني من يتصدّق بهذا المبلغ! هل كلّ الناس يتصدّقون بهذا؟ وإذا زدت فأحسن حتّى يصل الحال إلى (١٠ بالمئة)، وإن زدت فأحسن، يعني أنّك لو تصدّقت في عشرة الآلاف بألف ريال، وفي خمسة الآلاف في الشهر بخمسمئة صارت (١٠ بالمئة) لكان خيراً؛ لأنّ هذه النفقة التي تتصدّق بها هي التي تبارك مالك، وتزكّي عمرك، وتطهّر حلالك، وتكون وديعة عند ربّك في خزائنه، تلقاه بها - عز وجل - ليكافئك، هذا هو المال المبارك الباقي، وأنت لو سألت نفسك عن كثير من المشتريات والكماليات لو جدتها لا تنفع في الدنيا

ولا في الآخرة، وقصدي من هذا أن يكون لك برنامج مالي وصدقة محدّدة برقم معروف من كلّ دخل يدخل عليك، مكافأة، راتب، تجارة، عقار... أيّ شيء، زكّ هذا المال، أي: طهّر هذا المال عبر الزكاة الشرعيّة، هذه تُسمّى صدقة متقبّلة، وصدقة جارية تلقاها ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ ٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ [سورة الشعراء: ٨٨-٨٩].



تخلص من ديونك

المسلم العاقل الذي يتيقن أنه سوف يلقي ربه يحرص على قضاء دينه قبل أن يموت، ولا تعتمد على ورثتك في قضاء دينك، فسوف ينشغلون عنك بعد أن يدفنوك مباشرة، سوف يعودون إلى ذويهم وأهلهم وزوجاتهم وبيوتهم وأصدقائهم، وسوف تصبح بعد فترة نسيًا منسيًا، وتحاسب أنت بما حملته في هذه الدنيا خاصة الدين، فإن الدين شأنه عظيم وخطره جسيم، وحتى ورد في الحديث الصحيح: «يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين»، فاقض دينك، ولا تسرف، واحرص أن تتولى قضاء دينك بنفسك، ولا توص أولادك إلا إذا كنت مضطرًا أن يقضوا دينك بعد موتك.

أقدم على الله وقد أعدت الحقوق لأصحابها، وتخلصت من المظالم والديون؛ لتكون خفيف الظهر، قليل التبعات، واعلم أن أثر الدين يلاحق صاحبه حتى في قبره، فتخلص من العهدة قبل الرحلة، واعلم أن

الموت يأتي بغتة، ليس هناك إشعار ولا إنذار مبكر، وليس هناك مقدّمات له، فهو يقتحم على أهل القصور والدور والمزارع والاستراحات والشركات والمؤسسات، يأتي صباحاً أو ظهراً أو مساءً أو ليلاً، فأعدّ العدة وتأهب رحمني الله وإياك.



صَلِّ صَلَاةَ مَوْدَعٍ

صح عنه ﷺ أنه قال: «صَلِّ صَلَاةَ مَوْدَعٍ»، والمعنى أنك إذا أتيت إلى صلاة فاعتبرها كأنها آخر صلاة في حياتك؛ لأنك إذا فعلت ذلك فسوف تجود صلاتك وتخشع فيها، وتحضر قلبك؛ لاعتقادك أنك سوف تموت بعدها، ولذلك الأعمال بالخواتيم، فتصوّر لو أننا إذا صلينا نصلي صلاة مودّع! كيف تكون صلاتنا في حسنها وخشوعها وحضور قلوبنا فيها؟ إنها فوق الوصف، ولكن لطول الأمل يحصل لنا تفويت وإهمال وشروء وتفريط، حتى إننا نصلي في الغالب بأجساد بلا قلوب، فأفكارنا خارج المسجد ونحن نناجي ملك الملوك سبحانه في بيته.

فأمل أن يكون هذا الحديث النبوي نصب أعيننا، بأن نصلي صلاة مودّع؛ فإن من يودّع دائماً يحسن الوداع، والأعمال بالخواتيم، ويكفي الواحد منا أن يعتقد أنه لن يضمن عمره، وأن الموت قد يباغته، فلماذا لا نستشعر

عظمة الله إذا قلنا: الله أكبر؛ داخلين في الصلاة؟ فنرمي الدنيا خلف ظهورنا مع رفعنا للكفين بالتكبير؛ لأن معناه الله أكبر من كل ما تسمع وترى من الكائنات والموجودات.

وأقول لك: أحسن صلاتك، ففيها سر نجاتك ومفتاح حياتك.



كن غريباً

أوصى رسولنا ﷺ فيما صحَّ عنه عبدالله بن عمر الصحابي الجليل، فقال له: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، والمعنى أن تتجهَّز مثلما يتجهَّز الغريب؛ لأن الغريب يعرف أنه سوف ينتقل من الدار التي حلَّها، والبلدة التي نزل فيها، فتجده لا يتجهَّز إلا بقدر الوقت الذي يعتقد أنه سوف يبقى فيه في هذه البلدة، وكذلك المسلم فإنه سوف يغادر يوماً ما هذه الحياة، فينبغي أن يعلم أنه غريب في هذه الدار، وليست هذه دار قرار، وليست منزله الذي سوف يخلد فيه، فهناك دار أبينا آدم ﷺ وهي الجنة، والتي نزل منها، فالواجب علينا أن نتوب إلى أن نعود لتلك الدار التي هي دار أبينا، وفيها خلودنا برحمة ربنا، وهي دار الاستقرار في جوار الملك العزيز الغفار، حيث لا مرض فيها ولا وصب ولا نصب ولا تعب ولا سقم ولا موت ولا هرم، ولذلك انظر إلى هذه الأمنية الغالية الفاخرة الباذخة التي قالتها آسيا امرأة فرعون ﷺ بهذا النص، وهي سيدة مصر

الأولى، وكانت تسكن القصور، وتملك القناطير المقنطرة
من الذهب والفضة: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾
[سورة التحريم: ١١].

فهل من مشتاق للقاء أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين؟
وهل من مسارعة؟

وهل من تخفيف من التبعات والمشاكل التي أرهقتنا
وأثقلتنا وقيدتنا؟

اللهم أيقظ قلوبنا، واغفر ذنوبنا، وأصلح أعمالنا.



برنامج السحرة

مرّ سحرة فرعون في يوم واحد بأربع وقفات عظيمة وغريبة وعجيبة؛ فقد كانوا في أول النهار سحّارًا، يطلبون القرب من فرعون وقد أغراهم بالمال، فقالوا له: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [١١٣] قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ [سورة الأعراف: ١١٣-١١٤]، يعني يضيف لهم المنصب مع المال.

أتى الظهر فأمّنوا بموسى وسجدوا لله رب العالمين، وتحولوا إلى دعاة، وقالوا لفرعون: ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [سورة طه: ٧٣]، وفي العصر قُتلوا شهداء، وفي الليل دخلت أرواحهم جنة النعيم.

إذن مروا بأربع مراحل: سحّار، ثم دعاة، ثم شهداء، ثم ضيوف في جنة الخلد في يوم واحد فقط، ولكنهم أحسنوا الرحلة إلى الله، وصدقوا مع الله، فقص الله أخبارهم، وتقبّلهم شهداء عنده، وعفا عنهم، فاليوم

الواحد يفرق في حياتك، ولذلك يقول الكاتب الأمريكي
ماكسويل (Maxwell) في كتابه (اليوم أهميته): إن اليوم
يفرق في حياتك. وأنا أقول: اليوم كبير وخطير متى ما
توجهه إلى مرضاة الله فإنه سيصنع لك مستقبلاً، ويحول
حياتك إلى الأعلى والأرقى والأنقى والأبقى.



عِيش الآخِرَة

صح عن رسولنا ﷺ أنه إذا رأى شيئاً من متاع الدنيا وزخرفها قال: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة»، وهذا تذكير للإنسان دائماً أن يتفكر في نعيم الآخرة؛ لأنه نعيم دائم باقٍ خالد، أما نعيم الدنيا فهو زائل، وهو أضغاث أحلام ينتهي سريعاً كما انتهى حلمك في الليلة الماضية.

ووصيتي لنفسي ولك: أنك كلما رأيت بهرج الدنيا وخداعها وزخرفها أن تردد كما ردد رسولنا ﷺ: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة»؛ حتى تستيقظ وتستعد للقاء الباري جل في علاه؛ لأن من يذهب ويطلق بصره خلف كل منظر جميل ممتع مغرٍ يغتر بالدنيا، ويبقى في لهو وخديعة حتى يفجعه الموت. وكثير من الناس الذين انغمسوا في الدنيا وأمواها وجاهها ومناصبها وعقارها نسوا الموت، حتى إنهم يطالبونك ألا تذكرهم بالموت، ولا تقطع عليهم أنسهم وفرحهم؛ لأن أهدافهم رخيصة ودونية ومبتذلة حتى قال تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [سورة الإنسان: ٢٧]، فنسأل الله أن يوقظ قلوبنا لنتهيأ للقُدوم عليه.

غراس الجنة

صح عنه ﷺ أنه مرّ بأبي هريرة ؓ وهو يغرس نخلاً، فقال له ﷺ: «ألا أدلك على غراس خير من غراسك؟» قال: بلى يا رسول الله. قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

قلت: وهذا الغراس هو الغراس الباقي النافع المدخر عند الله، وهذه الكلمات الأربع كما قال عنها ﷺ في الصحيح: «لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس»، لكن انظر إلى هديه ﷺ كيف لفت فكر أبي هريرة ؓ إلى غراس الآخرة؛ حتى لا يغتر فقط بغراس الدنيا، ونحن مأمورون بأن نعمر الحياة الدنيا بقدر لا يعطلنا عن أعمال الآخرة، والله يقول: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [سورة القصص: ٧٧]، ولكن الانغماس إلى درجة أن ننسى جنة الله ولقاءه هذا هو المذموم، فأنت قارن كل مشهد يمر بك بمشهد في الجنة، فإن رأيت قصرًا مشيدًا تذكر قصرك

في الجنة فأعد العدة، وإن رأيت حديقة غناء فاعمل عملاً
صالحاً؛ حتى يكون لك حديقة غناء في دار الخلود، وإن
رأيت نهراً مضطرباً فذكر نفسك بأنهار الجنة، واسأل الله
من فضله واعمل لذلك، فهذه هي الرسالة المستفادة من
غراس الجنة.



يا حبذا الجنة!

هذه الكلمة الرائدة الرائعة قالها جعفر الطيار رحمه الله وهو يقاتل الروم في مؤتة، وقد طارت الأرواح على رؤوس الرماح، وسويت الصفوف، وسُلَّت السيوف، وتاقت القلوب إلى لقاء ربها، فأخذ يردد نشيداً خالداً جميلاً يذكره بقاء ربه، وهو يستقبل الموت في سبيل الله، ويبيع روحه إلى الله، يقول:

يا حبذا الجنة واقترباها

طيبة وبارد شرابها

ثم يرزقه الله الشهادة بعدما قطعت يده في سبيل الله، فيعوضه الله بهما جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء، ويبقى الأجيال يرددون: يا حبذا الجنة.

فهل ذكّرت نفسك بهذه العبارة وأيقظتها من غفلتها وسباتها؟ هل ردّدت في ضميرك: يا حبذا الجنة، وتذكّرت هذه الأمنية الغالية التي تهون في سبيلها كل الأمنيات؟ هل جلست جلسة تأمل ومحاسبة لنفسك ورددت وحدك: يا حبذا الجنة؟

ومن يعشق الجنة يجهّز لها مهرًا من العمل الصالح
والطاعة والاستقامة على منهج الله، واتباع رسوله ﷺ،
والتوبة النصوح، والتسبيح الدائم، فهيّا نردد: يا حبذا
الجنة! وهيّا نعمل لها، جمعنا الله بكم في الفردوس الأعلى.



غداً نلقى الأحبة

بعد رحلة طويلة من الجهاد والبذل والتضحية
والفداء قضاهها بلال بن رباح ؓ في سبيل الله أتمته المنية
في دمشق، فأخذ يقول وهو في سكرات الموت: (غداً
نلقى الأحبة محمداً وحزبه).

ما أبجل هذه المفردة الجميلة الشاعرية الرائقة الرائعة
الرائدة! إنها ملحمة مجد ومعزوفة شرف، وأغنية مجد،
ونشيد تضحية، ووسام فداء.

شكراً يا بلال، شكراً لهذه الروح العظيمة التي آثرت ما
عند الله، فلقيت الألاقي في سبيل نصره الدين، وتجرّعت
الغصص لنصرة نبي الرحمة ﷺ، وذاقت الويلات؛ لرفع
لا إله إلا الله.

وفي الساعة الأخيرة من عمره يتشوّق للقاء أحبته،
ومن هم الأحبة؟ إنهم أشرف وأعز وأكرم أحبة على
وجه الأرض؛ إنه محمد ﷺ، وإن غداً لناظره قريب،
وإنها أمنية عذبة لكل مسلم ومسلمة أن يمّني نفسه

بلقاء رسولنا ﷺ وأصحابه الكرام، مع الأنبياء البررة في
مقعد صدق عند ملك مقتدر: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ
أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ ﴿٦٩﴾ [سورة النساء: ٦٩].



النية إذا عجزت عن العمل

أنصحك أن تكون نيتك للخير دائماً، وتقصد العمل الصالح؛ فإنك إذا عجزت كتب الله لك ما نويت، وبذا تكون حصلت على الغنيمة الباردة، وتوفر لك الثواب ولم تتعب، وكما قال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»، حتى إن بعض السلف يقول لابنه: قبل أن تنام انو أن تقوم قيام الليل، فإن حصل وإلا كتب لك القيام؛ لأنك نويت، فانو الصدقة فإن تمت وحصل لك مال تصدقت وإلا احذر كتب لك بنيتك الأجر، وانو أن تصل الفقراء، وانو أن تكفل الأيتام، ووجه قلبك إلى الخيرات والفضائل، واحذر أن لا يتوجه المقصد إلى الذنوب والخطايا، فتعطل هذه النية الصالحة والمقصد الجميل، ولهذا في الحديث: «نية المؤمن خير من عمله»؛ لأن النية أوسع، وآفاقها أرحم، وهي شاملة، ولكن العمل أحياناً يكون محدوداً؛ فأطلق نيتك في الخير والله يعطيك أكثر مما نويت.



هادم اللذات

ورد عنه عليه السلام أنه قال: «أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَاتِ، فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ فِي كَثِيرٍ إِلَّا قَلِيلٌ، وَلَا قَلِيلٍ إِلَّا كَثْرَةٌ»، والمعنى: تذكروا الموت؛ لأنه ينهي كل المتع واللذائذ في الحياة، فإنك إذا تذكّرتَه وعندك قليل من الرزق والقوت علمت أنه سيكفيك؛ لأن الموت قريب والعمر قصير، وإذا ذكرته وعندك ثروة طائلة وأموال هائلة أشغلتك صارت قليلة في نفسك؛ لأنك سوف ترحل وتتركها عنك، وليس بصحيح نشر ثقافة (لا تذكروا الموت)؛ بحجة أنه يبث الكراهية والإزعاج وعدم الأنس، فهذا من الغفلة، ومصادم لخطاب الكتاب والسنة وخطاب الأنبياء والعلماء، بل علينا أن نذكر القدوم على الله؛ حتى نترك المظالم، ونجتنب المعاصي، ونصلح من أمورنا، ونتراحم ونتسامح، ونعلم أن الحياة قصيرة، وأن الرحلة قريبة، وأن الانتقال إلى الله وشيك، فنُعد العدة، ونتجهّز بعمل صالح، ونجدد التوبة، ونكثر من الاستغفار والصدقات والعمل الصالح، ونرحم الفقير والمسكين

واليّتين، فهذا هو مقصود القرآن والسنة حينما يذكر الموت كثيرًا، فلماذا نبذل الحقائق ونغيّر البراهين؛ حتى لا ينزعج أحد بزعمهم، ويبقى في لهوه وغيّه ولعبه؟! هذا منطق خاطئ ومنهج فاشل.



بعد (١٠٠) عام

تصوّر حالك وأسرتك بعد مئة عام، سوف يتغيّر وضع الأسرة تمامًا، فأنت تكون ميتًا، وأبناؤك يكبرون وربما يشيخون أو يموتون كذلك، وينشأ لهم أحفاد لا تعرفهم ولا يعرفونك، وينشأ في العائلة فروع، ويحيي أناس وتحيي وجوه جديدة، والأبناء يتزوجون وينجبون، وتصبح هناك دوائر للعائلة منتشرة، والبنات يتزوجن من أناس كانوا غرباء عن العائلة، ونسوبي ونسوك، وصرنا في عالم التاريخ وعالم الآخرة، ونادرًا منهم من يدعو لنا، فضلًا أن يحجّ عنا أو يعتمر أو يتصدّق إلا من رحم ربك، فمن الآن أنت قدّر هذا، قدّر وضعك ووضعك بعد ١٠٠ عام كيف نكون؟ وخطّط لهذا المستقبل؛ لأن السنوات تتراكم، والأيام تتسابق، والعمر يتصرّم، ولو علم الذين قبلنا من القرون الماضية من العظماء أننا لم نتذكّرهم بل نسيناهم؛ لكانوا جدّوا أكثر، واستعدّوا للقاء الله أعظم الاستعداد.

التفكير البناء يعيدك إلى الطريق الصحيح، وينظّم أمورك على الصراط المستقيم.

الحوض المورود

هل حدثت نفسك بالشرب من حوضه ﷺ شربة لا
تظماً بعدها؟ وسألت نفسك: ما حقوق هذه الشربة؟
وما ثمن هذا الورود؟ وهل أعددت الثمن؟ وهل دفعته
مقدماً؛ حتى تضمن أن تشرب من هذا الحوض البارد
الزلال العذب يوم الزحام، يوم العطش الأكبر، يوم
الكرب، يوم الفاجعة، والزلزلة، والقارعة، والطامة،
والغاشية، يوم يشيب فيه الولدان؟

إن ثمن ذلك اتباع رسولك ﷺ، وسبب نجاتك
محمد بن عبدالله ﷺ، والاهتداء بهديه، والاستئنان بسنته؛
حتى ترد مورده، وتحشر تحت لوائه، وتذوق شفاعته
ﷺ، فمن الآن لا تنس الأمانة الغالية الثمينة والهدف
الأسمى الأعلى الشرب من الحوض. أسقانا الله وإياكم
شربة بكف رسول الهدى ﷺ لا نظماً بعدها أبداً.



زر المستشفى

هل فكّرت أن تكون لك زيارات إلى المستشفى بعد كل فترة ولو لم يكن لك هناك قريب أو صديق؟ لأنك إذا زرت المستشفى أدّيت حق عيادة المرضى من إخوانك المسلمين، ودعوت لهم ودعوا لك، وكسبت أجرًا عظيمًا، وتذكّرت الآخرة، وخلعت عن نفسك حجاب الغفلة وقناع اللهو واللعب، وبدأت تشكر الله كثيرًا على الصحة والعافية التي تحملها وأنت لا تشعر، ورضيت بما عندك من رزق، وقنعت بكسبك، وبدأت تجدد التوبة والاستغفار.

لقد زرت مستشفيات كثيرة خاصة قسم السرطان في المستشفى التخصصي، فوجدت ما هزّني هزًّا، وأيقظني إيقاظًا، وكان معي كتاب (لا تحزن)، وكان في قسم الرجال ستون مريضًا، وفي قسم النساء ستون مريضة، وسمعت الآهات والتفجّعات والعيويل والأنين، وكنت أقف عند الباب فيقول أحد المرضى: اسألوا الله لي الوفاة أن يتوفاني حتى أرتاح! تصوّر إلى هذه الدرجة، وذكّرني بقول النبي:

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً
وحسبُ المنايا أن يُكنَّ أمانياً

تمنيتها لما تمّنت أن ترى
صديقاً فأعيا أو عدوّاً مُداجياً

زرّ أصحاب الأسرّة البيضاء؛ لشكر ربّ الأرض
والسما، ومن تحمده على الغذاء، والماء، والعافية،
والشفاء.



زِرِّ الْمَقَابِرِ

متى آخر عهدك بالمقبرة؟ متى زرت تلك البيوت
الصامتة الهامدة الخافتة؟ متى مررت بقبور الآباء
والأجداد؛ لتتعظ وتعتبر؟ قال تعالى: ﴿الْهَكُمُ التَّكَاثُرُ
﴿١﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ ﴿٢﴾ [سورة التكاثر: ١-٢].

أشغلنا التكاثر والأموال والأولاد والعقار والعلوم
والتخصصات، ولم نستعد للآخرة حتى فوجئنا بزيارة
المقابر مرغمين، محمولين على أكتاف الرجال، يقول كعب
ابن زهير:

كُلُّ ابْنِ أُنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ
يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَدَبَاءَ مُحْمُولٍ

إن أكبر موعظة أن تزور المقبرة، وتقف وقفة متأمل
ومتفكر، أليس في القبور ملوك، وعلماء، وأمراء، ووزراء،
وأغنياء، ووجهاء، وشعراء، وفلاسفة، ومفكرين، وفقراء،
وبسطاء، ورجال، ونساء صاروا في عالم الآخرة، مرتنون
بأعمالهم؟! فقف وقفة متأمل، وتذكر قول الشاعر:

أَتَيْتُ الْقُبُورَ فَنَادَيْتُهَا
فَأَيْنَ الْمَعْظَمُ وَالْمُحْتَقَرُ
تَفَانُوا جَمِيعاً فَمَا نُخْبِرُ
وَمَاتُوا جَمِيعاً وَمَاتَ الْخَبِرُ
تَرُوحُ وَتَغْدُو بَنَاتُ الثَّرَى
فَتَمْحُو مَحَاسِنَ تِلْكَ الصُّوَرِ
فِيَا سَائِلِي عَنْ أَنَاسٍ مَضُوا
أَمَّا لَكَ فِيمَا تَرَى مُعْتَبَرُ



صندوق العائلة

اقترح بعض العلماء اقتراحاً جميلاً أن يكون في بيتك صندوق صغير بقفل، يضع كل طفل لك على حسب استطاعتك ودخلك ريالاً واحداً في اليوم أو بعض القروش على حسب العملة؛ حتى تعود نفسك وأهلك على الصدقة ولو باليسير، وفي آخر الشهر يصرف هذا الصندوق لفقراء، أو مساكين، أو أيتام، أو أي عملٍ برٍّ، أو شراء ماء والتصدق به، أو نحو ذلك؛ لأن هذا الصندوق الصغير فيه بركة؛ ففيه تعويد للنفس على البذل، وتربية لأطفالك على فعل الخير، وتذكّر أهل الحاجة، ودفع للأذى والمصائب عن الأسرة؛ لأن صنائع المعروف تقي مصارع السوء، فلا تغفل عن هذا على حسب قدرتك ولو بالزهد؛ فإن الله يقبله مع الإخلاص والصدق، ولا تحقر من العمل شيئاً مهما قل: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ. [سورة الزلزلة: ٧-٨].

استعد لثلاثة أسئلة

سوف تُعرَض عليك في القبر في أول ليلة وأول جلسة مهما كنت ثلاثة أسئلة عرضت على العالمين من قبلك: من ربك؟ من نبيك؟ ما دينك؟ فأعد العدة.

وهذه الأسئلة الثلاثة يجيب عنها المؤمن الصادق بغض النظر عن شهادته ومستواه العلمي، فبعضهم يكون دكتوراً، أو فيلسوفاً، ولكنه ملحد منحرف عن منهج الله لا يثبت الله على الجواب، ولا يحسن، بل يخذله سبحانه ويخزيه ويذله؛ لأنه ضال مضل، ويجب عن هذا السؤال كل صادق منيب ولو لم يكتب حرفاً، ولو كان أمياً لم يقرأ ولم يكتب حرفاً، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢٧) [سورة إبراهيم: ٢٧].

دائماً ردد على طفلك وطفلتك: من ربك؟ من نبيك؟ ما دينك؟ وشاركه في الإجابة، وشرح لهم ببساطة ما معنى هذه الأسئلة الضخمة الكبيرة الجليلة الهائلة التي سوف تُعرض عليهم في الآخرة. ثبتنا الله وإياكم عند السؤال.

كن خفيّاً

ذكرت في كتاب (لا تحزن) موضوع تبسيط الحياة، لكن أنا أقول هنا كلاماً آخر: وهو أنّ عليك أن تتخفّف ما استطعت من التبعات والكماليّات والأشياء التي لا تحتاج إليها، وأن تركّز فيما تحتاجه، وأن تستعدّ للقاء ربّك في أيّ وقت، وتهجر حياة البعثرة هذه، وتعيد ترميم حياتك من جديد؛ فتخلّص من كلّ ضار، وكلّ مؤذٍ، وكلّ شيء لا حاجة لك فيه، وكلّ مشغل، وكلّ ما يلهيك عن طاعة الله؛ تجد أنّك سوف تريح نفسك وجسمك وضميرك من تبعات وقوائم لا أوّل لها ولا آخر؛ لأنّ تصحيح المسير إلى الله يحتاج للشيء الضروري الذي تقوّم به حياتك، ويصلح حالك، ولا يشغلك ويلهيك ويحرفك عن الطريق المستقيم.



البدار البدار

ليس هناك إلّا المسابقة ﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ﴾ (١٠) [سورة الواقعة: ١٠]، لا تؤجّل عمل اليوم إلى الغد ولا تسوّف، ولا تعش الأمانى فإنّها رأس أموال المفاليس والفاشلين، بل ابدأ بعمل الآخرة قبل عمل الدنيا، وأنجز أمورك، وإذا طرأ في ذهنك أمر خير فافعله، فإذا طاف بك طائف صدقة فقم وتصدّق، وإذا سمعت بجنّاة فاحضر وصلّ عليها، وإذا أتاك خبر مريض فحاول قدر المستطاع أن تعودته تكسب الأجر، وإذا لاحت لك فرصة للإصلاح بين الناس، أو عمل خير، أو كفالة يتيم، أو بذل معروف، أو فعل جميل، أو تقديم صدقة، أو إعانة، أو أيّ مساعدة فلا تؤجّل، وهذه هي فرصتك الوحيدة وقد لا تعود لك مرّة ثانية، وإذا سمعت الأذان فثب وثباً إلى أداء الصلاة ولا تقل نؤجّل أو ننتظر، وقس على ذلك أمور حياتك حتى الأمور الدنيويّة التي تقوم بها معيشتك فينبغي أن تستخدم معها البدار، في الدراسة، في الوظيفة، في الاجتماع، في السفر، ومن جرب البدار ما

خاب، والسابق دائماً تجده يحوز الجوائز والمراكز الأولى،
أما المتأخر والمسوّف والمثبّط فإنّه دائماً يعيش الفشل
والإحباط والانكسارات والهزائم:

إِذَا غَامَزْتَ فِي شَرَفٍ مَرْوَمٍ
فَلَا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ



أقرض ربك

قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِفَهُ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة الحديد: ١١]. تصوّر ملك الملوك أغنى الأغنياء الجواد الكريم يأمر عباده أن يقرضوه لمصلحتهم هم ولمنفعتهم، والله غنيّ عن العالم، كلّ العالم، بل هو الذي خلقهم ورزقهم، ولكن ليبادروا لفعل الصالحات، وليتدربوا على فعل الخيرات، وكسب الحسنات، ورفع الدرجات، وتكفير السيئات، إنك إذا تصوّرت أنك إذا تصدّقت وأقرضت الله قرضًا حسنًا ضاعف لك سبحانه ردّ هذا القرض، وحفظه لك، وثمّره لك، وكبّره لك، وجّهزه في دار الخلود لك، وسوف تبادر بهذا القرض وبنفس طيبة، ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [سورة النحل: ٦٠].

لو أنّ ملكًا من ملوك الدنيا أو غنيًا من أغنيائها قال للفقراء: من يعطيني داره لأستعملها سكنًا للعمال الذين يعملون معي، فله عندي قصر أنجزه له خلال عامين أو ثلاثة، فلا شك أن الكل سيسارع لهذا العرض المغري، فكيف بعرض العزيز الكريم، رب العرش العظيم؟!

ليس للكفن جيب

أكفاننا التي سوف نلبسها عند دخول القبر ليس لها جيوب، ولن نأخذ من أموالنا ولا مدّخراتنا شيئاً، ندخل القبر فقراء مثلها ولدنا فقراء، وعش مع هذين البيتين الجميلين المؤثرين:

وَلَدَتُّكَ أُمُّكَ بَاكِياً مُسْتَضَرَّحاً
وَالنَّاسُ حَوْلَكَ يَضْحَكُونَ سُرُوراً

فَاخْرِصْ لِنَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ إِذَا بَكَوْا
فِي يَوْمِ مَوْتِكَ ضَاحِكاً مَسْرُوراً

الذي تريد أن يكون أمامك في الآخرة قدّمه الآن في حفظ ملك الملوك، فلن تأخذ في القبر شيئاً، فعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ: أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ: يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ»^(١).

(١) متفقٌ عليه.

إذن عملك هو الذي سوف يدخل معك القبر،
إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، فأحسن العمل؛ ليكون
جليسك وأنيسك يوم الوحشة في القبر المظلم. نور الله
قبورنا وقبوركم.



إذا أردت أن تغتاب

يقول بعض السلف: إنّه كان إذا أراد أن يغتاب فكّر قليلاً ثمّ سبّح مكان الغيبة، وذكر الذهبي في كتابه (سير أعلام النبلاء) أنّ أحد العلماء قال: أخذت على نفسي أنّي كلّما اغتبت غيبة أن أتصدّق بدينار، فخفت على مالي فتركت الغيبة، فقلت في نفسي: الخوف من الله أعظم فتبت إلى الله من الغيبة، وهذه نفوس سمت وصفت وعلت، فكلّما اغتبت مسلماً أخذ الله من حسناتك له، وأخذ من سيئاته فوضعها عليك، فهل عاقل في العالم يرضى أن تؤخذ حسنات صلّاته وصيامه وصدقته وحبّه وتُدفع للآخرين؛ بسبب أنّه هتك أعراضهم وانتقصهم وسبهم وشتهم واغتابهم!؟

دعونا نطهر ألسنتنا من الغيبة، وإذا هممنا أن نغتاب فلنسبّح ولنذكر ربّنا في علاه؛ حتّى تبقى حسناتنا ويسلم لنا ديننا.

أنت الميت

إذا رأيت جنازة أمام عينيك في المسجد، أو في المقبرة، أو في وسائل التواصل، أو في التلفاز فحدّث نفسك أنّك أنت الميت وليس الآخر؛ لأنّك سوف تمرّ بالمشهد نفسه وبالطريقة نفسها، وسوف تُحمل على الأكتاف، وتنتقل من الدور إلى القبور، فحدّث نفسك: كيف يكون وضعك؟ وماذا يقول عنك الناس إذا دفنوك؟ فإنّ الناس شهداء الله في أرضه، فمن أثنوا عليه خيرًا فهو عند الله خير، ومن أثنوا عليه شرًّا فهو عند الله شرير، فعن أنس رضي الله عنه قَالَ: مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَثْنُوا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَجَبَتْ»، ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنُوا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَجَبَتْ»، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: «هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ»^(١).

إذن استشهد الناس بعمل صالح، وليكن قصدك وجه الله، ولتكن سمعتك جميلة، وأثرك طيباً، وذكرك حسناً.

(١) متفقٌ عَلَيْهِ.

أصدر عفواً قبل نومك

كلّ ليلة وأنت تقرأ أذكار النوم فرّغ الشحنات الغضبيّة من الحقد والحسد والبغضاء والشحناء من قلبك، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات، ونمّ قرير العين بعد أن أبردت قلبك بالعفو، وغسلته بالمساحة؛ حتّى يغفر الله لك، ويكون الجزاء من جنس العمل، فإنّه من عفا عن الناس عفا الله عنه، ومن رحمهم رحمه، ومن غفر لهم غفر له، ومن سامحهم سامحه، وبالمقابل من شقّ عليهم شقّ الله عليه، ومن شدّد عليهم شدّد الله عليه وهكذا.

جرّب ولو لليلة واحدة أن تنام وقد عفوت عمن سبّك أو اغتابك أو ظلمك أو انتقصك، ستكون من أحسن الليالي هدوءاً وسكينة واطمئناناً، ولكنك حينما تأتي لتنام وقد شحنت قلبك بعقارب الانتقام وحيّات الاقتصاص وثعابين البغض والكراهية فسوف تعيش قلقاً مضطرباً، وتخسر حسناتك وصحتك، أرح بالك واعفُ واصفح، وجرّب عبوديّة سلامة الصدر تدخل جنّة الدنيا قبل جنّة الآخرة، ولذلك يقول شكسبير الشاعر الإنجليزي الشهير: (لا توقد فرناً لأعدائك في صدرك فتحترق فيه).

أطعم العصافير

هناك قائمة من العبوديات التي اكتشفها الصالحون من عباد الله؛ حتى وصل ببعضهم الحال إلى أنه كان يشتري حباً وينثره للطيور بأنواعها، وهو يشاهد هذا المشهد ويفرح وينشرح صدره؛ لأنه كما قال ﷺ: «في كل كبد رطبة أجر»، حتى إطعام القطط والكلاب فيها أجر عند الله، ورأيت أنا من يقوم بهذه العبودية فيأخذ اللحم من المجزرة وبقايا الأطعمة ويذهب إلى الغابات، ويطعم الكلاب والقطط، وهناك فيديوهات مصورة ومسجلة في اليوتيوب لهذا العمل الجليل العظيم، وسوف يكافئهم ربهم سبحانه أجراً عظيماً، فأنت لا تترك باباً من الخير تستطيع أن تفعله إلا فعلته، فإن الرحمن الرحيم لن يترك من عملك شيئاً، وتصوّر كما في الصحيح: «دخلت النار امرأة في هرة حبستها، لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»، وامرأة أخرى كما في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما كلبٌ يُطيفُ

بَرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ؛ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي
إِسْرَائِيلَ فَزَعَتْ مُوقَهَا فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ فَسَقَّتْهُ إِيَّاهُ فَغُفِرَ
لَهَا بِهِ^(١)، الفرص الذهبية لا يضيعها الأولياء الصادقون.



(١) رواه الإمام مسلم.

لا ترمِ الطعام

رافقت أحد العلماء في سفر من الأسفار، فكنّا إذا
نزلنا في الفندق وانتهينا من أيّ وجبة في جناحه قام
فجمع بقيّة الطعام وأخرجه للعمّال، وربّما نزل به إلى
خارج الفندق، وأخبرني أنّ هذه عادته في أيّ وجبة مهما
بقي من الطعام؛ الإفطار والغداء والعشاء، قال: لأنّ
بقيّة الطعام من هذا هو طعام لذيذ عند أناس لم يذوقوا
اللحم من أشهر، ولم يشبعوا منذ زمن، ولم أنس هذا
الدرس العظيم العمليّ الميدانيّ من هذا الإنسان الرائع،
وكنت أتذكره دائماً وأذكره لزملائي.

كم نأكل من الوجبات، ثمّ نرمي ما بقي من الطعام،
وبجوارنا وعلى الأرصفة وفي العشش وبيوت الطين
بطون جائعة ومساكين وأيتام وفقراء يبحث أحدهم عن
كسرة الخبز فلا يجدها!

إذن راجع تعاملك مع الطعام ومع النعمة، واحمد

رَبِّكَ، وَاتَّخِذْ قَرَارًا أَلَّا تَرْمِي شَيْئًا مِنَ الطَّعَامِ فِي حَاوِيَاتِ
الْبَلَدِيَةِ أَبَدًا، حَتَّىٰ لَوْ كَلَفَكَ الْأَمْرُ أَنْ تَجْمَعَهُ وَتَقْدِّمَهُ
لِلْبَهَائِمِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالطَّيُورِ.

حَافِظُوا عَلَى النِّعْمَةِ فَإِنَّهَا تَدُومُ بِالشُّكْرِ وَبِالْحِفْظِ.



ملابسك القديمة

إذا منّ الله عليك ولبست ثوبًا جديدًا فخذ القديم وتصدّق به؛ فإنّه جديد عند أناس يلبسون الأسفل البالية منذ سنوات، لا ترمِ الملابس ولا الأحذية ولا الأغراض القديمة، احتفظ بها ثم وزّعها على الفقراء والمساكين؛ ليبارك الله لك في أشياءك الجديدة، وتكسب الأجر والثوبة.

كم من فقير معدم يتمنّى ثوبك القديم الذي مللت منه أنت وأردت تغييره! كم من مسكين معدم يتمنّى حذاءك الذي رميته! فقدّر النعمة، ووظّفها في طريقها، وكما يقول المنفلوطي: لو عاد الأغنياء على الفقراء بفضول ما يتركونه من طعامهم وملابسهم لما بقي فقيرٌ محتاج.

قلت: ومن مقاصد الإسلام ألا يبقى فقير في الناس؛ ولذلك فرض الله الزكاة على أهل الأموال، وقس عليها بقيّة الأشياء.



حافظ على البرّدين

صحّ عنه ﷺ أنّه قال: «من حافظ على البرّدين دخل الجنة»، والبردان هما صلاة العصر والفجر؛ لأنّهما تأتيان في وقت برد، وصلاة العصر والفجر في الغالب وقتها وقت تعب واستراحة للناس، فالفجر بعد نوم عميق ويقوم الإنسان بفتور مع الصباح، والعصر بعد عمل ومشقة في النهار، فمن حافظ عليهما وأدّاهما في وقتها فهو دليل على الإيمان، ولا بدّ أن يكون لك علامات لصدقك مع الله عزّ وجلّ، منها: المحافظة على الصلوات عمومًا في أوقاتها خاصّة صلاة الفجر والعصر، ومنها: كثرة ذكر الله، ومنها: التعلّق بكتابه جلّ في علاه، ومنها: شدة المتابعة للرسول ﷺ، أمّا من يدّعي ادّعاء عاطفيًا باهتًا بأنّه يحبّ الله ورسوله ﷺ، ثمّ تنظر في عمله وفي أخلاقه فإذا هي في وادٍ وهذه الدعوة في وادٍ آخر، هذا لا يكون أبدًا ولا يستقيم، ولا يكون عليه برهان ولا حجة، برهن على هذه المحبة باتّباع عمليّ ربّاني نبويّ ميدانيّ؛ حتّى تكون صادقًا عند الله ثمّ عند خلقه.

أمانة الأسرة

من يعدّ العدة للآخرة يعلم أنّ أسرته أمانة في عنقه، كما قال ﷺ: «كلّكم راع وكلّ مسؤول عن رعيته»، وسوف تسأل عن عائلتك الخاصة؛ لأنك أنت الراعي الأوّل والمسؤول الأوّل، فهل أعددت للمسألة جواباً؟ هل تفقدتهم في الصلوات؟ في المعتقد؟ في الأخلاق؟ من يجالسون؟ مع من يذهبون؟ موارد معرفتهم؟ لأنّ أطفالك أصلاً عجيبة قابلة للتشكّل بأيّ يد كانت، وهم في سنّ يسمح لهم بالتأثر، فإذا لم تكن رقيباً برشد، وراعياً بضمير، فمعنى ذلك أنّك ما أدّيت الأمانة، ولا قمت بالواجب الشرعي، وأنا أرى أنّ من لم يسعد بأسرته ويسعد أسرته فليس بناجح في حياته؛ لأنّ الرسول ﷺ يقول: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»، فالذي ليس فيه خير ولا نفع لأسرته، ولم يدّهم على هداية، ولم يدخل عليهم السرور، ولم يرعهم ليس بأهل أن يفلح هو في دنياه وفي آخرته. والله الموفق.



أصابعك ولسانك

عبودية الأصابع كما ورد عنه ﷺ أنه قال للنساء: «عَلَيْكُمْ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّقْدِيسِ، وَاعْقِدْنَ بِالْأَنَامِلِ فَإِنَّهُنَّ مَسْئُولَاتٌ مُسْتَنْطَقَاتٌ، وَلَا تَغْفُلْنَ فَتَنْسِينَ الرَّحْمَةَ». ومعنى الحديث: أي سبّحن واعقدن بالأصابع فإنها سوف تشهد يوم القيامة لمن يسبّح بها، فتعود تحريك أصابعك بتسبيح الباري؛ فإنها من أعظم العبوديات، وإذا لم تذكره سبحانه وتقدّسه وتعظّمه فمن يستأهل في العالم أن يُعظّم ويقدّس ويذكر؟! وقد قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٥٢].

وعبودية الشفتين تحريكهما مع اللسان بذكر الله، وصحّ عنه ﷺ أنه قال: «لا يزال لسانك رطباً بذكر الله»، حتى يقول السيوطي في قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٥٢]: عجبت لمن يقرأ هذه الآية ثم يقف لسانه وتحف شفتاه عن ذكر الله. وهذه من أعظم العبادات على سهولتها ويسرها؛ فإنه لا يمكن أن تدخل مشقة على

إنسان؛ لأنّه حرّك لسانه بالتسبيح كثيرًا، وحرّك أصابعه،
لكنّ المسألة مسألة توفيق من الله - عزّ وجلّ -، فمن وفقه
سهّل له العمل، ومن تعوّد ذلك وجاهد نفسه يسّره الله
لليسرّ وأعانه.

أعاننا الله وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته.



المال الرابع

ذكرت في فصل سابق نسبة ما تتصدق به، ولكن أعود هنا فأقول: المال إذا لم ينجك في الآخرة فلا خير فيه.

يمكن أن تأخذ بالمال جاهًا في الدنيا، أو تدرك لذائذ ومتعًا لكنّها زائلة زائفة منتهية، فهل سألت نفسك: هل المال الذي أكسبه هذا قلّ أو كثر يمكن أن ينجيني عند ربّي، ويسعدني في آخري؟ فكّر! ولذلك أكرّر هنا وأقول: أيّ دخل يأتيك قلّ أو كثر فخذ منه ولو جزءًا بسيطًا واجعله للآخرة؛ فيعود بالبركة على ما بقي من مالك، ويطهرّك، ويزكّيك، ويكفّر سيئاتك، ويشرح صدرك، وتجده مضاعفًا عند ربّك.



قصرك في الجنة

هل خطّطت لقصرك في الجنة؟! هل فكّرت فيه وفي سكناه وفي اتّساعه؟ لأنّ هذا القصر الذي ينتظرك برحمة أرحم الراحمين هو قصر خلود، وبقاء أبديّ، وعيش سرمدي مع الصّحة المتناهية، واللذة الفائقة، والاطمئنان والسعادة، فلا مرض هناك ولا وصب ولا نصب ولا تعب، ولا موت ولا هرم ولا سقم، لكنّ مشكلتنا أنّنا إذا أردنا أن نبني بيتاً في الدنيا استغرق تفكيرنا سنوات، فحّتى في الصلاة نفكّر فيه؛ نفكّر في الإسمنت والحديد والعمال والشركة والمدة والمال والدفع والأقساط، وهذا جيّد إذا لم يدخل في العبادة ويعكّرها وينسنا الآخرة، ولكن كم نبقى في هذا البيت؟

كثيرٌ منا لا ينجزيته الدنيوي إلّا بعد الأربعين، فيسكنه عشرًا أو عشرين أو ثلاثين سنة ثم يرتحل عنه. والآن أسألك عن البيت الأخروي، هل خطّطت وأعددت له؟ هل دفعت الثمن لذاك القصر المهيب الجميل بعمل

صالح.. بصلاة.. بصدقة.. بصيام.. بحسن خلق؟

هذا الذي ينبغي أن تعيد التفكير فيه، وإلاّ هل من المعقول أنك تستغرق كلّ تفكيرك، وكلّ مالك، وكلّ جهدك، وكلّ عمرك في بيت تسكنه سنوات معدودة، ثم تغادره بلا رجعة، وقد لا يقبل أبنائك السكن فيه، فيخرب منزلك ثم يُهدّم، ثم تفنى الدنيا وأهلها، لتفاجأ في الآخرة بأنه لا منزل لك!!



كيف حالك مع القرآن؟

اسأل نفسك عن صحبتك للقرآن: هل جعلته أنيساً وجليساً لك في الدنيا؛ ليكون مؤنساً وشافعاً لك في قبرك وفي حشرِك؟ هل لك ورد من القرآن؟ هل هناك وجبة يومية مع كتاب الله وجلسة روحانية مع الذكر الخالد؟ هل سألت نفسك: ما واجب القرآن عليّ؟

إنّ من حق القرآن عليك حسن تلاوته، بحيث تتعلّم النطق والتجويد له؛ ثم تدبّر ما تقرأ؛ لأنه ليس كتاباً عادياً، وليس كلام بشر، ثم حفظ ما تيسر منه، ثم العمل به وتحكيمه في حياتك والاستشفاء به، ثم التحاكم إليه بحيث إنّك تفريه فرياً، وبحيث إنّك تعرض أمراض قلبك عليه فتأخذ كلّ دواء بما يناسب كلّ مرض، وتترنّم به وتتغنّى في خلواتك، وفي الثلث الأخير ترتله وتبكي فإن لم تبك فتبأكي.

هذه نصيحتي لك؛ لأنّك سوف تندم إن لم تفعل ذلك، ولو أنك قرأت كتب البشر جميعاً ومؤلفات من

في الأرض كلّها لا تغنيك، ولا تشبع جوعك، ولا
تروي ظمأك، ولا تسدّ فافتك، وسوف تجد كلّ ما
تطلب في القرآن متى ما فتحت قلبك له، فاعتنم فإنّ
الحرف بعشر حسنات.



رَدُّ المَظالِمِ

سوف أحاسب أنا وإيّاك على كلّ ما قلنا، وكلّ ما فعلنا، وسوف نوقف عند الله - عزّ وجلّ -؛ لأنّ هناك ميزانًا وصحفًا وتسجيلًا وملائكة يشهدون وملائكة يكتبون، وأعضاء من جسدك تشهد عليك، وباختصار: أدعوك لردّ المظالم حتّى من اغتبتّه استغفر له، فإنّ يوم القيامة ليس فيه درهم ولا دينار ولا عقار، إنّما هي حسنات وسيئات، من أين لك يوم العرض الأكبر أن تردّ مظالم الناس التي أخذتها في الدنيا إلّا بأن تعطي من حسناتك وتأخذ من سيئاتهم؟

وهذه قاصمة الظهر! فمن الآن تذكّر من ظلمته في أرض أو دار أو عقار أو عرض، وحاسب نفسك هنا قبل أن تحاسب يوم القيامة وتفقد صحائف عملك، وانتبه قبل رحيلك فإن المسألة جدّ وليست بالهزل، ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا).

زَيْنَ قَبْرِكَ

مثلما تزيّن غرفتك ومجلسك الذي تجلس فيه، وتعتني
بأثاثه ونظافته وطيبه، قبرك سوف ترتحل إليه فزيّنه
بأعمال صالحة وأخلاق فاضلة، وأعدّ العدة؛ لأنّ ما
تفعله سوف يرتحل معك وهو عملك، ولن يدخل معك
القبر إلّا العمل، فلن يدخل معك ابن مهما كان بارّاً، ولا
مال مهما كان كثيراً، ولا أصدقاء مهما كانوا أوفياء، ولا
أحباب مهما كانوا مخلصين. الذي سيدخل معك عملك
فحسب، فزيّن العمل هنا، وجمل أخلاقك. لترتحل وقد
أعددت العدة، لتجد ما قدّمت أمامك يستقبلك بالأنس
والبشرى والفرح.



كرّر التوبة

صحّ عنه ﷺ أنه قال: «كلّمكم خطّاء وخير الخطّائين التوّابون».

نحن لسنا معصومين، فنحن بشر خُلِقنا من طين ومن ماء مهين، يقع منا الذنب والخطأ، نحن نكرّر الذنب في اليوم مرات ومرات ولا نتوب، فعليك أن تتوب وتكرّر التوبة وتجدد الاستغفار، وكلّما عثرت استغفرت، وكلّما أذنبت تُبّتْ إلى الله، فإنّ الله واسع المغفرة وهو رحمان رحيم، ولا تيأس من روح الله، ومهما فعلت من الذنوب فإنّ رحمة الله أوسع إذا تبت وأنبت وندمت على ما فرطت، ومع التوبة قدّم الصالحات من أعمال، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرَيْنِ﴾ [سورة هود: ١١٤]، فمثلاً إذا وقع منك النظر إلى الحرام فأكثر من النظر إلى كتاب الله وإلى الكون وتفكّر، وإذا أكلت أموالاً محرّمة فعليك أن تتخلّص منها وتتصدّق من أموالك ما يكافئ ذلك، وإذا كنت

مشهورًا بحضور مجالس اللغو واللهو فاحضر مجالس العلم، واقرأ سنة النبي ﷺ وأكثر من ذكره وهكذا.. فإن الحسنه إن كانت من جنس السيئة -يعني من نوعها وشكلها- فإنها أبلغ في التكفير والتطهير، وليس هناك سوى ميزان للحسنات والسيئات كما قال ﷺ: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها».



ماذا يُقال عنك؟

الأصل في عمل المسلم أن يكون خالصاً لوجه الله، ولكن طلب الذكر الحسن والسمعة الطيبة مقصود شرعاً، فإن كل واحد منّا يجب أن يُذكر بخير بعد وفاته، كما قال تعالى على لسان إبراهيم ؑ: ﴿وَأَجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ (٨٤) [سورة الشعراء: ٨٤]، يعني سمعة طيبة وثناء جميلاً، وتذكر ماذا يقال عنك بعد موتك، فأنت اختر لنفسك أي العاقبتين: إما ذكر جميل، وإما ذكر قبيح، أعاذنا الله من ذلك.

إن عملك الصالح وأخلاقك الفاضلة هي التي تورث لك السمعة الجميلة التي ترفع رؤوس قرابتك، وتجعل أبنائك يفتخرون بذلك ويتشرفون، وقبل ذلك نجأتك عند الله وفلاحك في الآخرة؛ لأنه كما صح في الحديث: «أنتم شهداء الله في أرضه»، فمن أثنى عليه الناس خيراً فهو عند الله خير، ومن أثنى الناس عليه شراً فهو عند الله شرير.

قف وقفة، وقل: ماذا يقال عني إذا مت؟ فلعلّي أصلح من سريري وصحيفتي؛ حتى ألقى الله بعمل جليل وأذكر به بعد موتي.

ليكن لك خبيئة

الخبيئة هي الشيء النفيس المدّخر المخبوء المستور الذي لا يطلع عليه أحد إلا الله، ووصيتي لك أن يكون عندك أعمال صالحة ولو قليلة وصغيرة لا يعلمها إلا الله، بينك وبين علام الغيوب من صدقة، أو صلاة في الليل، أو كفالة يتيم، أو إعطاء فقير، أو دمعة في خلوة ونحو ذلك؛ لأنّ هذه الخبيئة تنفعك في الأزمات وتكشف عنك - بإذن الله - الكربات، وهي من أعظم الحصون التي تقيك من الكوارث ومن العثرات، وأفضل الأعمال ما كان سرّاً بينك وبين الله؛ لأنّه أكثر في الإخلاص وفي الصدق، فلا تنسَ نفسك من أعمال لا يراها البشر، وإنّما يراها الله وحده سبحانه، فإذا دخلت في غرفة نومك فلا تبخل على نفسك ولو بركتين، وإذا رأيت فقيراً فحاول ألا يراك أحد وأنت تعطيه، وليكن عندك خلوات من المناجاة مع الله - عز وجل -، ومع تلاوة كتابه، ونحوها من الأعمال الصالحة المخفية المستورة المحجوبة.

زد فرداً في عائلتك

من بركة كفالة اليتيم أن الله يزيد في رزقك، ويكفر ذنبك، ويحفظك في أهلك، وفي العالم أيتام بالملايين، فعلى قدر دخلك لو كفلت يتيماً وأضفته إلى عائلتك كأنه أحد أبنائك حلّت البركة في الأسرة وفي العائلة، وهذا على حسب دخلك، فاتّقوا الله ما استطعتم؛ لأنّ بعض كفالة الأيتام في بعض البلاد الفقيرة كأفريقيا لا يكلف كثيراً، بعضهم في السنة يكلف ما يقارب ألف ريال فقط في العام الكامل، وهذا يضيف لك مدداً ورزقاً جديداً، ورعاية في أبنائك، وزيادة في دخلك، وزكاة في عملك وطهراً لقلبك، فلا تنس نفسك، وتذكر قوله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة».



قائمة اليوم

ربّما مرّ معنا البرنامج اليوميّ، لكن نقول هنا: إنّ عليك أن ترتّب قائمة يومك في صباح كلّ يوم؛ فتجعل أمور الآخرة في مقدّمة اهتمامك؛ كالصلوات الخمس في أوقاتها، وحزبك من القرآن، ووردك من ذكره ﷺ، وحقّ الوالدين، وتربية الأبناء، ثمّ تضيف لها واجبات الدنيا، ولكن للأسف الكثير ممّا كلّ برنامجها للدنيا القصيرة الزائلة الذاهبة، وليس في برنامجها اهتمامات أخروية وكأنّه سوف يعيش للأبد، وكأنّه لن يموت، فكثير من الناس منذ الصباح وحتى المساء لا يفكّرون في الآخرة، ولا تتوق نفوسهم للجنة، ولا يتذكّرون أنّه سوف تأتي عليهم ساعة الفراق والانتقال من هذه الدار، فتجد القائمة كلّها دنيا في دنيا، وأكلًا في أكل، وراحة في راحة، ومالًا في مال، فتجد الاهتمامات عندهم وجبات الفطور والغداء والعشاء، واستقبال الضيوف، وإصلاح السيارة، وشراء الأرض، والاستمرار في بناء الفيلا، والتخطيط لشراء مزرعة، والسفر بالأهل سياحة،

والتجارة في الأسهم، وليس للآخرة حظ ولا نصيب.
فبالله عليك هل هناك مسلم يشهد أن لا إله إلا الله
وأنّ محمداً رسول الله، ويؤمن باليوم الآخر، لا يكون في
قائمة يومه قضايا الآخرة التي أخذت من القرآن مساحة
كبيرة في التركيز والانتباه والاهتمام والوعظ والنصح؟!



الصف الأول

أحرص على الصف الأول في الصلاة، فإن صفوف أهل الجنة كصفوف الناس في صلواتهم في الدنيا، وكما تحرص على المراكز الأوليّة في أمور الدنيا، في الدراسة والعمل، وعند حصد الجوائز فأحرص على أن تكون قريباً من الله، وأن تكون في أوائل المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ (١٠) [سورة الواقعة: ١٠]، والآخرة كالدنيا في منازل الناس، ففيهم الأبرار المقربون، والمقتصدون، والظالم لنفسه مثل ممتاز وجيد جداً وجيد ومقبول، وفيهم -والعياذ بالله- الراسب في نار جهنم، فأحرص على ألا يسبقك إلى الخير أحد، ويجب أن لا نغبط منذ الآن أحداً من الناس على هذه الحياة بعدما رأينا مشاهدنا بعيوننا، فرأينا رئيساً يُجْلَع، ورأينا غنياً يفتقر، ورأينا صحيحاً يمرض، وشاباً يموت، ورأينا تبدل الدنيا بأهلها، لا أغبط إلا من يحرص على الصف الأول خلف الإمام في الصلوات الخمس، وقد فتح مصحفه من أول الوقت يتلو ويتدبر وينتظر الإقامة، فهو لاء هم السعداء، جعلنا الله وإياكم منهم.

أنصت لمن جرب

زرت أنا وأحد أصدقائي رجلاً كبيراً قبل عشرين سنة، وقد توفي ﷺ، ولكن لما زرنه كان على سريرته، وكان من الأعيان الأثرياء الوجهاء الذين تولّوا أرقى المناصب، وإذا المصحف مفتوح أمامه على حمالة من خشب، فكان يحدّثنا عن حياته ويقول: إنّه قد جرب لذائذ الحياة، ومتع الدنيا، وملك الطائرات الخاصّة وسافر بها، وسكن القصور المخمليّة، ونزل في اليخوت في الشواطئ الدافئة، وجمع الأرصدة الماليّة البنكيّة الهائلة، قال: والله ما أحسست بسعادة إلّا بعدما تقاعدت ثمّ لزمت المسجد، ولزمت غرفتي هذه مع المصحف، وكأنّ ما مرّ بي كلّ أضغاث أحلام، وكأنّها رؤية مناميّة، وإنّ أخوف ما أخاف على نفسي هو المحاسبة عن الماضي الذي مررت به، وكان يعدّه الناس نعيماً عظيماً، ومجدّاً كبيراً، وهو عندي الآن غصّة في نحري أو كلام يشبه هذا، وما نسيت ذاك المشهد وهو يحدّثنا عن تجربته وحياته الأولى والثانية.

فنسأل الله حسن الخاتمة.

هونها تهون

كلمة (هونها تهون) لا أنساها وقد سمعتها من أحد القضاة في المملكة، وهو متقاعد الآن ولزم المصحف والعبادة والمسجد، وكنا في مجلس يتحدثون عن المناصب وعن الدخل والأسهم فالتفت إلى الناس وقال: هونها تهون، كل الدنيا هيّنة وزائلة وقليلة وقصيرة، وسوف نذهب إلى الله ونُنسى كما نُنسى من هو أعظم منا، ويقول: هناك ناس كانوا أحياء من العظماء والزعماء وكانوا يظنون أنّ العالم يتحرّك بإذنهم وبأمرهم، وماتوا والحمد لله تحرّك العالم بعدهم وما نقص شيء، ونسيناهم ونسيهم الناس، فأنا أقول: الذي تهتمّ به كثيرًا، وله عندك ضجّة وصجّة ورجّة من الأموال والعقار والتجارة والجاه والأبناء والمناصب زائل لا محالة، لذا أقول لك: هونها تهون، هي أضغاث أحلام، وهي مسرحية باهتة، ورؤية مناميّة زائلة، وأسألك: أين العظماء الذين مرّوا في التاريخ وكان لديهم أساطيل بحريّة، وجيوش جرّارة، وقناطير

مقنطرة، وكنوز مدخرة، وقد صفقت لهم الدنيا، وتغنّى
بهم الدهر، ومدحهم الشعراء، وسكنوا القصور المنيفة،
وملكوا الحدايق الغناء والبساتين الفيحاء؟ ذهبوا ونُسُوا
تمامًا وكأنتهم ما عاشوا ولا مروا بهذه الحياة، باختصار
أقول لك في أذنك: هوّنها تهون.



السفر القريب

قرأت في سير (أعلام النبلاء) المجلد (١٥) عن أحد الزهاد في الأندلس اسمه أبو وهب زاهد الأندلس، لم يكن عنده مال ولا عمل بل كان منقطعاً للعبادة، لم يتزوج ولم يعرف الذرية ولا البيت، وكان يتنقل في المساجد، وكان عنده جفنة يأكل فيها، وإبريق يتوضأ منه، وعصا يتوكأ عليها، وشملة ينام فيها، وقبل أن يموت تصدق بهذه الأشياء، فقال له أحد الناس: لماذا؟ قال: لأنّ عندي سفرًا قريبًا، وبعد يومين توفي ولقي ربه.

وأنا لا أدعو لترك العمل وترك الزواج والذرية بل خذ نصيبك من الدنيا، لكن لا تغرق حتى أذنيك فيها، فتصبح كما يقول ابن الجوزي: مخدّر بحبّ الدنيا، وسكران في أودية الدنيا، والمبّنج لا يحس، كما يقول أبو الطيّب:

مَنْ يَهْنُ يَسْهَلِ الْهَوَانُ عَلَيْهِ
مَا جُرِحَ بِمَيِّتٍ إِسْلَامُ

فنسأل الله أن يوقظ قلوبنا، وأن يجعل لنا وازعًا يحثنا على عمل الصالحات، وترك الفاني والاهتمام بالباقي.

بشربة ماء

ذكر المؤرّخون أن ابن السّمّاك الواعظ دخل على هارون الرشيد الخليفة العباسي في قصره، فطلب هارون الرشيد كأس ماء ليشرب فلمّا أصبح في يده، قال له ابن السّمّاك: أسألك بالله يا أمير المؤمنين، لو مُنعت هذا بنصف مالك أتدفع نصف مالك - يعني لو منعت أن تشرب الماء حتّى تشرف على الموت هل تدفع نصف الملك في هذا؟

قال هارون الرشيد: نعم، أدفع نصف ملكي ولا أموت. فلمّا شرب الكوب قال له ابن السّمّاك: أسألك بالله يا أمير المؤمنين، لو مُنعت من إخراج هذا الماء من جسمك حتّى تتلف وتموت أو نصف ملكك أتدفع؟ قال: أدفع نصف ملكي ولا أموت.

قال: لا خير في ملك لا يساوي شربة ماء.

هذه القصة عن مُلك هارون الرشيد الذي يساوي دولاً كثيرة، وكان يحكم من السند إلى طنجة، ومع ذلك لو مُنع من شربة ماء حتّى يموت دفع ملكه كلّهُ، فنصّحي لك أن تنظر للدنيا نظرة خفيفة عابرة، ولا تهوّل من متاعها، وتفكّر في لقاء الواحد الأحد.

مرافقتك في الجنة

ربيعة بن مالك الأسلمي أحد أصحاب رسول الله ﷺ كان يخدمه، قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ بِوُضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ لِي: «سَلْ»، فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ»، قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ: «فَاعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»، وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَسْجُدَ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةٌ».

فمن أراد مرافقة نبينا ﷺ فعليه أن يكثّر من السجود غير الفرائض، فإذا توضأت فصلّ ركعتين، احرص على السنن القبليّة والبعديّة: قبل الفجر ركعتان، والضحي ركعتان على الأقل، قبل الظهر ركعتان أو أربع، بعد الظهر ركعتان أو أربع، قبل العصر أربع ركعات، بعد المغرب ركعتان، بعد العشاء ركعتان، ولا تنس الوتر، فكلّ سجدة تقربك من الله، وهي أصلاً دقائق معدودة؛ ولذلك تجد الواحد منا يحضر الحفل والمهرجان يبقى

أربع ساعات إلى خمس ساعات في لهو ولعب ولا يشكو
التعب والإعياء، بينما إذا قلت له: سنصلي ركعتين شعر
بالملل والسأم؛ لأنّ القلوب أصلاً ليست متّجهة للآخرة،
فقط مؤثرة للدنيا، ومنغمسة في بحار اللهو واللعب.



ولو خمس دقائق

كنت في سفر مع أربعة أصدقاء لي، وكانوا من أهل الخير، وسمة الخير والتدين ظاهرة عليهم، فسألتهم مع الغروب: هل قلتم هذا اليوم «لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل قدير مئة مرة؟» قالوا: لا، وقال بعضهم: قلناها عشرًا أو عشرين أو نحو ذلك، فتعجّبت من الذهول والنسيان والإهمال، مع العلم أن هذا الحديث في الصحيحين عليه أكبر جائزة نبوية وردت في السنة النبوية لمن قاله مئة مرة؛ لأن فيه عتق عشر رقاب، والحصول على مئة حسنة، وتكفير مئة سيئة، وهي حرز من الشيطان ذاك اليوم، ولا يأتي أحد يوم القيامة بأفضل عمل ممن قالها إلا من قال أكثر، ومع ذلك لا تستغرق إلا خمس دقائق، بل تأتي في أربع دقائق إلى ثلاث دقائق لمن أسرع، ومع ذلك انظر كيف نحن من يؤسنا نصرف الدقائق المحدودة في الخير وفي الذكر وفي التلاوة، ونصرف الساعات الطويلة في الضحك، والمزاح، والاتصال، والغيبة، والنميمة، والاستهزاء، والسخرية، والكلام الفارغ الزائف السخيف!!

ولو صفحة واحدة

رافقت مثقفاً معروفاً وهو مشهور بالنهم في القراءة،
ومعه كتب في حقيقته للمفكرين والأدباء ودائم القراءة،
وفي أثناء حديثي سألته: هل قرأت القرآن اليوم؟ قال:
لا، للأسف بكل صراحة وصدق!

قلت: سبحان الله! هؤلاء المؤلفون الذين تقرأ لهم
بشر خلقوا من ماء مهين ومن طين، والقرآن كلام ربّ
العالمين، وأرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين حتى صفحة
واحدة ما قرأت!

قال: صدّقني، للأسف حتى صفحة واحدة!
تعجبت؛ لأن المسألة مسألة عادة، ومسألة انتباه، ومسألة
يقظة، يعني تسلم عقلك وقراءتك لبشر مثلك محاييج
ومهازيل ومساكين وفقراء، وأصلهم من التراب الذي
نطؤه بأقدامنا، ونهتز لأفكارهم، ونتعجب من كتاباتهم!
وكلام الله المعجز المبهر الخالد الذي تحدّي به الله الإنس
والجن لا يظفر منك بوقت تقرأ منه ولو صفحة واحدة،

مع العلم أن قراءة القرآن سرور وشفاء لما في الصدور،
وأجر ومثوبة، والحرف الواحد بعشر حسنة في
الصفحة، كما يقول بعض الباحثين: أكثر من «١٤٠٠»
حسنة! فيا حسرتاه على القلوب التي لا تعي، وعلى
الأوقات التي تذهب سدىً بلا ثمرة!.



يجمع لغيره

أنا أذكر قصة بدون أسماء، والقصة يعرفها الكثيرون في بلادنا، أن رجلاً عاش في وقتنا، وكان مشهوراً بجمع المال، وكان عقيماً ولم يتزوج! وكان يدور في أوقات الصلوات على الشقق والعقارات التي له يحاسب المستأجرين والناس يصلون في المسجد، وكان شرس الأخلاق، يرفع صوته بغضب على المستأجر، وعلى العامل، وعلى الخادم، وكان لا يعتني بمظهره فحتى ملابسه لا ينظفها كثيراً، فقط يجمع المال ويدخره، فهو بين البنك وبين العقار، وبين استلام الإيجار وبين محاسبة العمال، وبين الصياح على الخدم.

وعظه بعض الفضلاء فما اتعظ! وفجأةً توفي، ولم يكن له وارث إلا ابن عمه، فدفعت المحكمة أكثر من (٩٠) مليون ريال لابن عمه تركها له، لم يستفد منها في دنياه، فلم ينفق على نفسه كما ينبغي، ولم يتصدق، ولم يبن مسجداً، ولم يكفل يتيمًا. أعوذ بالله من الحرمان والخذلان.

وذكر الكاتب الجعيثن في كتابه (تجارهم مع السعادة)
أن أحد الناس كان مشهوراً بجمع المال وله زوجة وليس
له أبناء، فكان يطالبه العقلاء أن يتصدق، وأن ينفع نفسه،
فقال: لا، مالي هو عزّي أو نحو ذلك، فقالوا: سوف يرثه
غيرك فلم يصدقهم، وتوفي فجأة فتزوجت امرأته بعده
رجلاً آخر، فورث أمواله، وسكن دوره، ولعب بها تركه
وراء ظهره، ولم يستفد منه في حياته شيئاً، فانظر إلى سوء
التدبير، وعظيم الغفلة، وشديد الانغماس في حب الدنيا،
ثم انظر العاقبة.



كُتِبَ لَا تُقْرَأُ

زرت قبل خمسة عشر عامًا أحد الأدباء المشاهير،
وقد توفي غفر الله له وسامحه، ووجدت ركامًا أمامه من
كتبه التي ألفها في أشياء قد لا تهم الناس؛ من اللغات
العامية، وأشعار في قبائل، وأخبار وأساطير في البادية،
وأهداني ما يقارب عشرة كتب منها، وأتيت أقرؤها في
البيت، وإذا كلها حكايا وسواليف بلا سند ولا توثيق
علمي، وليس لها مردود إيجابي على نفسي، ولا نحتاجها
في الحياة، وعجبت له وهو منكبٌ في تلك المرحلة، وقد
جاوز الثمانين يكتب ويجمع القصاصات، فقلت: لو أنه
صرف هذا الوقت في شيء ينفعه وينفع الأمة مع كتاب
الله وسنة النبي ﷺ، أو علم مفيد للناس، حتى من حقائق
التاريخ، أو من فوائد الأدب الراشد أو نحو ذلك، ولكن
التوفيق من الله، فحتى لو انصرف إلى شيء يفيد فهو قد
جاوز الثمانين، كما قال الشاعر:

قالوا: أينك طول الليل يسهرنا

فما الذي تشتكي؟ قلت: الثمانينا

وكان سفيان الثوري يقول: من بلغ الستين فليشترِ
كفنًا؛ يعني يتهيا؛ لأن النبي ﷺ يقول فيما صح عنه: «أعمار
أمتي بين الستين والسبعين»، يقول أبو الفتح البستي:

هَبِ الشَّيْبَةَ تُبْدِي عُذْرَ صَاحِبِهَا
مَا بَالُ أَشْيَبِ يَسْتَهْوِيهِ شَيْطَانُ؟



الموت كل ليلة

نحن نموت كل ليلة ميتة صغرى وهي النوم، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ [سورة الأنعام: ٦٠]، وكان ﷺ إذا أتى لينام يقول: «اللهم أسلمت نفسي إليك»، فهي وفاة صغرى، والواجب أن نتذكر بها الوفاة الكبرى (الموت الحقيقي)، ونعد العدة لذلك.

تذكر وأنت على سريرك على جانبك الأيمن كأنك في قبرك، وهذا لا يمنع أن تتذكر، وهذا ليس حراماً وليس عيباً، خلافاً لما يقوله بعض الناس دائماً: لا تذكرنا بالموت، لا تشوشوا علينا، لا تزعجوننا، يريد أن يأتيه الموت بغتة وهو في لهوه ولعبه ومع معاصيه ومخالفاته.

لا! الذكرى تنفع المؤمنين، القلوب الحية تتدبر، الاستعداد أجود وأحكم، وعلينا أن نعتبر، قال تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [سورة الحشر: ٢]، أما حياة الخمول والغفلة واللهو، ثم نحيطها بسياج لا تكدرنا خواطرنا ولا تزعجوننا، فهذا ليس من الحكمة ولا الرشد.

حدث نفسك

دائمًا حدث نفسك ومنّها بسكن جنات النعيم، وجوار الملك الكريم سبحانه، وقل في خاطرك: سوف نلقى الأنبياء عليهم السلام، وأسعد وأشرف بالسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ومصافحته، وفي يوم ثانٍ أزور أبا بكر مقرر إقامته في جنة الخلد، وأزور عمرَ، وعثمانَ، وعليًّا، ونحدد زيارة لملك بن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وابن تيمية، ولنا لقاء إن شاء الله بابن عباس، والزهري، وصلاح الدين الأيوبي، وغيرهم من الفضلاء الصالحين، وبرحمة الله وبفضله نزور أمنا خديجة، وأمنا عائشة، وآسيا امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وفاطمة بنت محمد رضي الله عنهن أجمعين.

فيا لها من ذكريات جميلة! فإنها سوف تحصل للمؤمنين، ومن حدث نفسه بهذا عمل لهذا اللقاء أعمالاً صالحة، واجتهد وجدّ وتاب إلى الله، واستغفر، وقدم من الصالحات ما تنفعه عند مولاه، وتهياً للرحيل؛ فإن هذه هي الأمانى العذبة الجميلة الرائعة التي لا أروع منها.

سلاح المؤمن

صح عنه ﷺ أنه قال: «الوضوء سلاح المؤمن»؛ لأنه يحفظه - بإذن الله - فيبقى على طهارة، ويسلم من وسوسة الشيطان ونزغه، ولذلك قرأت عن كثير من العلماء والصالحين أنهم كانوا على وضوء دائماً، فإذا سئلوا عن ذلك قالوا: نخشى أن يأتينا الموت بغتة، وهذه قلوب قد سافرت إلى ربها، فهي تنتظر موعوده سبحانه وترجو لقاءه، والإنسان إذا علم أنه سوف يرتحل قريباً تجد عنده من إصلاح حاله، وتدبير شؤونه، وإحسان أخلاقه؛ لأن يستعد لما بعد الموت، وينتظر الثواب من الله - عز وجل، أما الغافل فلا يعنيه هذا الكلام؛ لا الوضوء، ولا التوبة، ولا الاستغفار، ولا المحاسبة، ولا المراقبة لربه؛ لأنه منغمس أصلاً في بحار الدنيا، وفي همومها وغمومها ومتعتها ولذائدها، فلا يحس بحاله حتى يفاجئه الموت، ولذلك تجد أكثر من يصرخ ويسخط ويولول وقت الموت هم أكثر الناس تعلقاً وتشبُّثاً بالدنيا، حتى قال تعالى عن اليهود: ﴿يُودُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّزٍهُ﴾ من العذاب أن يُعَمَّرَ ﴿[سورة البقرة: ٩٦]، فنسأل الله أن يجعلنا ممن أحسن العمل وتذكر الأجل.

كانوا على ميعاد

روي في كتب التاريخ عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه مرَّ على الحيرة، وهي عاصمة الملك النعمان بن المنذر فرأى القصور المهْدَمة والآثار البالية، فأنشد بيتاً قديماً يقول فيه:

جَرَّتِ الرِّيَاحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ
فَكَانَتْهُمْ كَأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى مِيعَادٍ

وهذا البيت كلما قرأته أثر في نفسي، وأثار شجوناً عندي، وصوراً ومشاهد وخيالات الله أعلم بها، وانظر لأهل الحضارات التي سادت ثم بادت، والقصور التي تهدمت، والحدائق التي فنيت، والمدن التي تعطلت، والتجارات التي كسدت، كيف أنها ذهبت مع الأيام، ولم يبقَ شيء؛ ولذلك تذكر دائماً قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۗ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة القصص: ٨٨]، فما أحسن أن يكون لديك ضمير حيّ يتدبّر ويقرأ! يقول شوقي:

اقْرَءُوا التَّارِيخَ إِذْ فِيهِ الْعِبَرُ
ضَلَّ قَوْمٌ لَيْسَ يَذَرُونَ الْخَبَرَ

لمن عجز عن التلاوة

قد لا تستطيع أن تحفظ القرآن، أو لا يتوفر عندك وقت للتلاوة في المصحف، فأنا أرشدك إلى طريقة سهلة ميسرة تحصد بها أجورًا كثيرة، وهي أن تردّد السور التي تحفظها، فإنّ سورة الإخلاص مثلاً ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن، فإذا قرأتها ثلاث مرّات في أقل من دقيقة كأنك ختمت القرآن، ولك أن تردّد سورة الفاتحة فهي السبع المثاني والقرآن العظيم، وهي الشافية والكافية، وهي قرآن وعلم وذكر ودعاء ورقية، فمقصودي ألاّ تتعطّل عن الخير، وألاّ تجعل لنفسك أعذارًا تجعلها سدودًا بينك وبين فعل الصالحات، فبعض الناس إذا قلت له: اقرأ القرآن، قال: ما عندي وقت، ولكن عنده وقت طويل للهزل، والإسفاف في القول، والحكايا الفارغة، والسواليف الفاضية، والغيبة والنميمة ونحوها من سخيّف القول، ورخيص الحديث؛ والسبب هو القلب، فالقلب إذا كانت فيه حياة ونور أبصر وعرف وتحركت من أجله الجوارح، وإذا مات القلب مات كلّ الأعضاء، فنسأل الله أن يحيي قلوبنا.

زلزلة الساعة

يوم السبت ٢٤ / ١١ / ١٤٤٠ هـ ذهبت إلى صلاة الظهر في المسجد، وفتحت المصحف على سورة الحج، وقرأت أولها بحضور قلب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (١) يَوْمَ تَرَوُنَّا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (٢) [سورة الحج: ١-٢]، وكررت الآيتين وبقيت متفكراً أين قلوبنا عن هذا الكلام؟ ومن الذي تكلم بهذا الكلام؟ إنه ملك الملوك الواحد القهار يحذرننا، وينذرنا، ويدعوننا أن نتدبر، وأن نتأمل، وأن نتجهز، وأن نستعد للقاءه، ولكن انظر إلى قوة الخطاب وتأثيره، وهول الموقف، وجلال المشهد، ورعب الحدث ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (١) [سورة الحج: ١]، فإذا هي زلزلة، وإذا هي القيامة، وإذا هو شيء عظيم يصفه ربنا بأنه مهول مخيف مرعب جداً، وهذا قول أصدق القائلين تبارك وتعالى، فهل لنا أن نعيش هذه اللحظات؟!

وأنا قلت لك من قبل، وأقول لك الآن: لا تصدّق الترهات والكلام السامج الممجوج الذي يردّده بعض الناس الغافلين: دعونا في لهونا، واطركونا في لعبنا وفي أنسنا وراحتنا، لا تكذّروا أمزجتنا بذكر الموت، وأهوال القيامة ونحو ذلك.

إنّ هذا الكلام الرخيص الساقط هو كلام المعرضين عن منهج الله، المحادّين لرسله حتّى قال سبحانه عنهم: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الحجر: ٣]، فأفكارهم محدودة، ونظرتهم ضيقة، ومطالبهم زهيدة فاشلة، فليتنا نعيد قراءتنا للقرآن من جديد، بحضور وانتباه وتدبّر؛ علّنا نستيقظ، ونتوب إلى ربّنا.



ألهاكم التكاثر!

قوله تعالى: ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [سورة التكاثر: ١] فيها عموم، فالتكاثر في كل شيء يلهينا عن الآخرة، وإذا خرج التكاثر عن الحد المطلوب والمشروع صار عبثاً علينا، التكاثر في الأموال حتى نغرق فيها وننسى الآخرة، التكاثر في الأولاد حتى يكون سبباً في انشغالنا عن الأهداف الكبرى، التكاثر في العلوم غير النافعة وتفصيل التفاصيل فيها، ومطاردة الفنون التي لا أثر لها في صلاح الدنيا ولا في الآخرة، التكاثر في الفخر، والتمادح الباطل، والتعالي الزائف، والتطاول والتكبر والتجبر على عباد الله، كل هذا يلهينا عن الهدف الذي خلقنا له، إننا باختصار أتينا إلى هذا الكوكب لفترة محدّدة وسوف نرتحل قريباً، وقد رأينا وقرأنا وسمعنا عن القرون الماضية والأجداد، والحضارات السابقة كيف بادت وذهبت وانتقل كل أحد، فسبحان القائل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة القصص: ٨٨]، وقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [سورة القصص: ٨٨]، ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ

ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ [سورة الرحمن: ٢٦-٢٧]،
فخذ من هذه الدنيا بقدر حاجتك، وإيّاك والتكاثر: وهو
الأمر الزائد عن الحاجة، فإنّه مثل الماء الطافح الذي امتلأ
به الإناء وأصبح يصبّ هدرًا.



على هامات الأموات

نحن في حياتنا نمشي على هامات ورؤوس الموتى
الذين دفنوا من آلاف السنين، وأصبحوا تحت بيوتنا
وتحت طرقاتنا ومجالسنا وأنديتنا، كما يقول المتنبى:

يُدفنُ بَعْضُنَا بَعْضاً وَنَمْشِي
أَوْاخِرُنَا عَلَى هَامِ الْأَوَالِي

ومعنى البيت: أن بعضنا يدفن بعضاً، ومن تأخر منا
في الحياة صار يمشي على رفات الأموات، كما يقول أبو
العلاء المعري:

خَفَّفِ الْوَطْءَ مَا أَظُنَّ أَدِيمَ الـ
أَرْضِ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ

صَاحَ هَذِي قُبُورُنَا تَمَلَأُ الرُّخْ
سَبَ فَإِنَّ الْقُبُورَ مِنْ عَهْدِ عَادٍ

رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْداً مَراراً
صَاحِكٍ مِنْ تَزَاحِمِ الْأَضْدَادِ

ومعنى الأبيات يقول: أيها الماشي على وجه الأرض،
خفف من خطواتك، فإنّ التراب الذي تمشي عليه هو من
أجساد أمم سادت ثمّ بادت، ثمّ قال: إنّ بعضهم يقول:
إنّ قبورنا كثيرة، وهي التي تملأ الساحات المجاورة،
فيقول: وأين القبور الماضية للأمم السالفة؟ بل هي
متراكمة فوق بعضها بعضاً، ويقول: ربّ قبر تكرر فيه
إدخال أموات بعد أموات، وكأنّ هذا القبر يضحك من
كثرة ما يدخله من صرعى الموت، فتواضع وامش بهون
وبسكينة، واعلم أنّك قريباً سوف تكون تحت التراب.



سل الطين عن السلاطين

في بعض كتب التاريخ أنّ مقبرة في خراسان مكتوب عليها: دفن في هذه المقبرة ألف ملك، وخراسان إنّما هي مدينة من مدن الأرض، فقط في تلك المدينة تكرر عليها عبر التاريخ ألف ملك دفنوا في تلك المقبرة، فكيف بقيّة الأرض؟ وكتب على اللوحة:

وسلاطينهم سل الطين عنهم
والرؤوس العظام صارت عظامًا

وانّها لعبرة عظيمة تجد الإنسان في حياته في قصر مشيد، وهيبة وصولجان، وحشم وخدم، وثروة هائلة، وبذخ وإسراف، وزهو وكبر، وجنود وحشود، ثم يؤخذ وحيدًا، ليُحفر له حفرة في الأرض، ويدسّ في التراب وتأكل الدود جسمه، فهل فكّرت في هذه الصورة وقد مرّ بها مليارات البشر وسوف يمرّ بك هذا المشهد؟! فأعدّ العدة بتوحيد وسنة وعمل صالح.

طالع التاريخ

إذا قسا قلبي أحيانًا، وكثرت الغفلة، أتلو شيئًا من القرآن وأطالع السنّة النبويّة ثم أعود لكتب التاريخ، فأقرأ عن الخلفاء والملوك والأمراء والوزراء والعلماء والحكماء والشعراء والأطباء والفلاسفة، وأسأل نفسي: كيف كانوا؟ وأين ذهبوا؟ وليت شعري ماذا قيل لهم؟ وماذا وجدوا؟ وماذا حصلوا؟ وهل سنلحق بهم قريبًا! ثم أتفكّر في دورة الأيام، وارتحال الناس، وسرعة زوال الدنيا، وتغيّرها وتبدّلها بأهلها، وغرور أكثر الناس، وغفلتهم وكأنّهم ما اتّعظوا بمن سبقهم، وما أخذوا العبرة بمن مضى، ولذلك قصّ الله علينا في القرآن أخبار الأمم، وكيف أخذهم، وكيف أفناهم، وأخبار الجبابرة وغيرهم ممّن حكم وجمع وحشد، ثمّ ذهب مسلوبًا رغم أنفه إلى حفرة.



موقف لا أنساه

حضرت جنازة الملك فيصل رحمه الله في الرياض، وكنت حينها في الصف الثاني المتوسط بالمعهد العلمي بالرياض، وزحف الناس مع الجنازة كموج البحر إلى مقبرة العود، وكنت أسمع في الراديو وأنا في السيارة مع أعمامي تلاوة أحد القراء بصوت مؤثر: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة آل عمران: ٢٦]، ونسيت المشهد كله، وبقيت هذه الآية ترن في ذهني دائماً، وكلما سمعت الآية أو قرأتها قفز إلى ذهني ذاك المشهد المهيب في جنازة الملك فيصل، والناس قد ماجوا كالبحر مع البكاء والعيول، ولكن تركت الآية في نفسي معاني لا يعلمها إلا الله؛ من زوال هذه الدنيا، وذهاب أهلها مهما سادوا، ومهما جمعوا، ومهما ملكوا، وأن الملك كله لله، والمجد له، والجبروت والملكوت والعظمة له، وأن كل شيء هالك إلا وجهه سبحانه، وأنه مهما تزخرت الدنيا وتزينت وتجمّلت فإن نهايتها إلى الزوال والاضمحلال والانتقال، فخذ العبرة من هذه الآية وأمثالها، وقف وقفة تأمل ومحاسبة مع نفسك، ولا تنس الاعتبار والاتعاظ لكل ما ترى وتسمع.

الخليفة الزاهد

ذكر مؤرخو الإسلام كالذهبي وابن كثير وابن الأثير أن الخليفة الزاهد العابد العادل عمر بن عبد العزيز ؓ كان يجتمع بالعلماء كل ليلة، فيتذكرون الموت ولقاء الله، فيقومون كأنهم قاموا عن جنازة، وأكثرهم بكاء الخليفة نفسه عمر ؓ، وكان يسكن دمشق عاصمة الدولة الأموية آنذاك، ويحكم من مشارف المغرب إلى السند، ومع ذلك هذا حاله في التذكُّر والاعتبار والاتعاظ حتى إنه توفي وعمره ما يقارب الأربعين سنة، وقد تجرد من الدنيا، وسكن بيتًا عاديًا، حتى حلي زوجته فاطمة بنت عبد الملك بنت الخليفة وأخت الخلفاء وزوجة الخليفة أخذه منها وأعادته إلى بيت مال المسلمين، فإذا كان هذا خليفة ومَلِكًا من الملوك يتعظ كل ليلة، ويذكر نفسه مع العلماء بعرصات القيامة والحساب والعرض والميزان والحوض والصراط فكيف بحالنا نحن؟! إن من تمام العقل وكمال الرشد أن تفكر في العاقبة، وأن تحسن الخاتمة.

أين أحبتي؟

ذكر الشيخ علي الطنطاوي في مذكراته أن أحد الشعراء سافر وهو صغير من دياره، وتغرّب وطالت غربته جدًّا، وأتى وهو شيخ كبير إلى أرضه، وبحث عن آبائه وأجداده وأعمامه وعماته وأخواله وخالاته وأصدقائه وأحبابه، فإذا هم نقلوا إلى المقابر، وقد تهدّمت البيوت، وتغيّر المشهد، فذهب إلى المقبرة، وسلّم فلم يرد عليه أحد، فبكى واستعبر وأنشد:

ما في الديار مخبرٌ

إلا صدى لمصوّتٍ

ناديتُ: أينَ أحبتي؟

فأجبتُ: أينَ أحبّتي؟

والمعنى: أنه ذهب إلى المقبرة فما وجد إلا صدى صوته يعود إليه، حتى إنه لما نادى في المقابر: أين أحبتي؟ عاد له صوته مع ترجيع الصوت والصدى يقول: أين أحبّتي؟ وهو مشهد مؤثر معبر، وأنت لو ذهبت إلى مقبرة قريتك

عند قبور أحبابك من الآباء والأجداد والأمهات
والجدات لوجدت هناك أناسًا كانوا غالين عليك،
وأحبابًا إلى قلبك، لكنك نسيتهم مع الأيام، ولم تتذكرهم
إلا نادرًا، وسوف يمرّ بي وبك حال يأتينا أحفاد لأولادنا
وأحفاد لأحفادنا ينسوننا ولا يعرفون عنا خبرًا أصلاً،
ولا يعينهم شأننا، فاهتم لنفسك أنت، وقدم ما ينفعك
عند الله؛ فإن دورة الزمن سوف تأتي عليّ وعليك.



سبحان من وفقه!

أعرف رجلاً صالحاً غنياً، رزقه الله مالاً طائلاً، فجعل
همَّه بناء المساجد داخل السعودية وخارجها، فكلما بنى
الناس قصوراً ودوراً قام فبنى المساجد وأنفق عليها،
حتى وصل عدد المساجد التي قام عليها أو بناها أو رممها
ما يقارب ألف مسجد ولا أبالغ، مع كثرة نوافله وذكره
لله، فعجبت كيف وفق الله هذا الرجل الصالح والثري
الكبير إلى مرضاة ربه، وكيف عرف الطريق، ونظرت إلى
غيره من التجار فإذا بعضهم قد انهمك في مشاريع لا
نهاية لها ولا حصر، وهو يطارد متع الدنيا؛ مرة في يخت في
البحر، ومرة في قصر في الشاطئ، ومرة في طائرة خاصة،
ومرة في حديقة غناء، ومرة في فندق باذخ، وليس عنده
علم ولا خبر عن الآخرة، ولم يبنِ ولو مسجداً واحداً،
ولم يكفل يتيماً، ولم يعط مسكيناً، فسبحان من يهدي من
يشاء، ويضل من يشاء، ويسعد من يشاء، ويشقى من
يشاء! اللهم وفقنا واهدنا سواء السبيل.

رزقه الله من حيث لا يحتسب

دعيت لإلقاء محاضرة في افتتاح مسجد لأحد الأثرياء في إحدى مدن المملكة، ولما حضرت إلى المسجد دعانا لوجبة العشاء في بيته الواسع، فأخبرني عن حاله، وأنه كان شاباً فقيراً، وكانت أمه تدعو الله أن يسهّل له أن يبني لها مسجداً، قال: وكنت مدرّساً ليس عندي إلا راتبي، فقد كنت أجمع مع الأيام؛ لأحقق أمنية أُمِّي، وأسأل الله في كل صلاة أن يهيئ لي قيمة بناء المسجد، ولما اكتمل المبلغ بنيت لها مسجداً باسمها وعلى نيتها، قال: فوالله بعد ذلك انهالت عليّ الدنيا بأرزاق لا يعلمها إلا الله، ودخلت بأسهم مع شركات، فانهالت عليّ الدنيا حتى ما أدري أين أضعها، قال: والله لا أعزو ذلك إلا لدعاء والدتي في كل صلاة؛ فإني لما بشّرتها ببناء المسجد وإتمامه وأخذتها لتصلي فيه، انهلت دموعها كالطر، وهي تدعولي من قلبها، فالله الله في كسب دعاء الوالدين، وفي احتساب الصدقة؛ فإنها من أعظم أبواب الرزق والأجر عند الله.

كل يوم رغيؑف

قبل عشرين سنة زرت محافظة من محافظات المملكة؁
فإذا أهل المحافظة يخبروني بوفاة عجوز سالحة عابدة قانتة؁
وقد أصابهم الحزن جميعاً عليها؁ وكلهم يترحم عليها.

قلت: ما أخبارها؟

قالوا: هذه المرأة تعلمت القرآن في الصغر؁ فتقرؤه
تلاوة؁ وكان لها كل يوم رغيؑف خبز بُرّ تجهّزه وتضعه
عند باب بيتها الشعبي الذي تسكنه؁ وكان كلما مرّ فقير
أو مسكين أخذ هذا الرغيؑف؁ وبقيت هذه المرأة على هذه
العادة لا تغيّرها؁ رغيؑف بُرّ تتصدّق به؁ ولها أعمال بُرّ
أخرى على قدر دخلها؁ وأخبرونا بأنّها كانت تعظ النساء
إذا حضرت؁ وتحذّثهم من رياض الصالحين؁ ولا تغتاب
أحدًا في مجلسها؁ وتمنع من يغتاب؁ فلما ماتت تركت ذكرًا
جميلًا؁ وذكرني هذه القصة بقصة في كتاب (الفرج بعد
الشدة) للتنوخى؁ أن امرأة سالحة في بغداد كان ابنها
محمد بن البسطام يتيمًا معها مات أبوه؁ فأخذت تتصدّق
برغيؑف كل يوم؁ وتقول: يا محمد؁ لعل الله أن يحميك بهذا

الرغيف، وأوصيك ألا تتركه أبداً، ثم ماتت وتولى هو الوزارة، وكان مع صدقاته لا يترك رغيف الخبز بوصية والدته، فغضب عليه الخليفة العباسي وسجنه وأراد قتله لأموار بلغته عنه، ثم رأى الخليفة رؤية منامية أنه كلما حمل السيف يريد قتل محمد بن البسطام عرض له رغيف يسد الأفق بينه وبين ابن البسطام يمنعه من قتله، وتكررت الرؤية، وسأل الخليفة المعبرين فقالوا له: هذا رجل تمنعه الصدقة منك، فدعاه وسأله عن قصة الرغيف، فقال: هذا رغيف الوالدة، ما تركته حتى هذه الأيام، ولذلك عليك بالصدقة فإنها حاجبة مانعة من البلاء.



جدد إيمانك

صح عنه ﷺ أنه قال: «جددوا إيمانكم، قولوا: لا إله إلا الله». ومعنى الحديث: أن تراجع إيمانك دائماً، وتجدد التوبة والاستغفار، وتفقّد دينك وعملك الصالح، والعجيب أننا نجدد أمور حياتنا، ولكن نغفل عن ديننا، فنحن نجدد البيت إذا صار قديماً، ونجدد الأثاث إذا أصبح بالياً، ونجدد السيارة إذا طال عليها الوقت، ونجدد ثيابنا إذا تغيّرت وبليت، إلا الإيمان! فقليل من يجدد إيمانه، ولهذا ينبغي علينا أن يكون عندنا عملية محاسبة وعملية مراقبة لمستوى إيماننا، فتسأل نفسك عن محافظتك على الصلاة في وقتها بخشوعها وحضورها، ومحافظتك على تلاوة كتاب الله بتدبر، وعلى دوام ذكره -عز وجل-، وعلى الصدقة، وفعل الخير، وبر الوالدين، وصلة الرحم وأمثالها، المسألة تحتاج إلى تجديد كل يوم.



أجب

اعرض هذه الأسئلة على نفسك كل يوم وأجب عنها؛ لتعرف مقدار قربك من ربك أو بعدك عنه: هل أخلصت العبادة لربي وصدقت في الإيمان به سبحانه؟ هل تابعت نبيي ﷺ في كل سهم من حياتي؟ هل حافظت على صلواتي الخمس في اليوم والليلة في أوقاتها بآدابها الشرعية؟ هل بررت والدي في حياتهما أو دعوت لهما وتصدقت عنهما بعد وفاتهما؟ هل حفظت لساني من قول الزور والغيبة والنميمة والشتم واللعن وغير ذلك؟ هل مطعمي وملبسي ودخلي حلال أم فيه شبهة؟ هل أنا محافظ على وردي من القرآن كل يوم بتدبر؟ هل أكثر من ذكر ربي وتسبيحي وتقديسي -جل في علاه- أم أنا غافل؟ هل خلقي حسن مع المسلمين أرحمهم وأزفُّ بهم؟ هل تهيأت بتوبة قبل الرحيل إلى ربي؟ هل أعدتُ المظالم وقضيتُ الديون التي عليّ قبل أن يفجعني الموت؟

اجعل هذه الأسئلة نصب عينيك، وحاول أن تجيب عنها فيما بينك وبين نفسك؛ عليها تحثك على مزيد من الطاعة، واجتناب المعصية، والاستعداد للقاء الله -عز وجل-.

ساعة للروح والبدن

رأيت لبعض الإخوة اقتراحًا جميلًا يقدمه للناس، وهو أنك لو خصصت ساعة واحدة في اليوم، فقسمتها ثلاثة أقسام، درجات بربح طائل، ومردود جميل للروح والبدن: فالثلث الأول من الساعة تقرأ فيها جزءًا كاملاً من القرآن بتدبُّر وحضور، والثلث الثاني تستطيع أن تسبِّح فيه (٣٠٠٠ تسبيحة)، والثلث الثالث تمارس فيه نشاطًا رياضيًا كالمشي مثلاً.

فهذه أجمل ساعة في يومك وليلتك بعد الصلوات، فهل فكّرت أن تأخذ ساعةً واحدةً من أربع وعشرين ساعةً، وتداوم على هذا البرنامج الذي ذكره هذا الأخ الفاضل؟ فإنه رائع مفيد، ومن جرّب عرف.



وجاءكم النذير

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرْ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ [سورة فاطر: ٣٧]، بعض المفسرين قالوا: النذير الشيب، والشيب هو أعظم نذير يحذر الإنسان وينصحه، ومن لم يرتدع بالشيب، ويراجع نفسه ويحاسبها، ويستغفر ربه ويَتُبْ، فلا أمل له بعد ذلك في المراجعة إلا أن يشاء الله؛ لأن الشيب معناه أنك قد اقتربت من الرحيل، وأنت على دنو من الأجل، وأنه ينبغي عليك أن تقلع من صبوة الشباب وعثرات الفتوة، ولهذا انظر في المرأة لتجد البياض في رأسك وفي لحيتك، فتستغفر ربك، وتتهيا بعمل صالح حتى يقول لسان الدين بن الخطيب:

جَزَى اللهُ عَنِّي وَاعِظَ الشَّيْبَ خَيْرَ مَا
جَزَى نَاصِحًا فَاضَتْ يَدَاهُ بِخَيْرِهِ

سَلَكْتُ طَرِيقَ الْحُبِّ حَتَّى إِذَا انْتَهَى
تَعَوَّضْتُ حُبَّ اللهِ عَنْ حُبِّ غَيْرِهِ

آمل منا أن نقف وقفة تأمل إذا رأينا البياض قد
لاح، قد خالط شعرنا، فإن هذا البياض رسالة عاجلة،
معناها: استعد وانتظر، أنت مرتحل قريباً، فهل أعددت
العدة؟ وهل أخذت الزاد؟



عند رأسك

وصيتي لك أن تجعل على المنضدة التي عند سريرك المصحف وكتاب رياض الصالحين؛ لتقرأ قبل أن تنام بعض الصفحات من كتاب الله، وبعض الأحاديث من كلام رسول الله ﷺ؛ لتختتم بها يومك، وتكون زادك، وقد تأتي في القيلولة أو في العصر فتجدها عند رأسك، فتتذكر أن الكتاب والسنة زادك إلى الآخرة، وأنا رأيت بعض الصالحين يحرص على القرآن وعلى رياض الصالحين قبل النوم، وبعضهم جعل القرآن ورياض الصالحين في غرفة نومه، كلما دخل قرأ ما تيسر، وهذه بركة ليلك ونهارك، وسوف تجد أثرها مع الشهور والأعوام، وتجد أنك ختمت القرآن، وأنتك استفدت وحفظت كثيرًا من حديث النبي ﷺ، وأحسست براحة وانسراح صدر، غير الأجر الحاصل من ذلك الثواب عند الله - عز وجل -.



غصن شجرة

لا تحتقر شيئاً من العمل الصالح مهما قلَّ، فقد صحَّ عنه عليه السلام أن رجلاً وجد في الطريق غصن شجرة يؤذي الناس فأزاله، فغفر الله له وأدخله الجنة بهذا العمل السهل البسيط اليسير، فقط أزاح غصن شجرة من طريق الناس، لم يدفع مالاً، ولم يقيم بجهد كبير ولا بتعب، وإنما بتصرف سليم من نية طيبة، فغفر الله له وأدخله الجنة، وأنت قد تمرّ بك عشرات الأعمال في اليوم الواحد؛ من أذى في الطريق تزيله، من خير تقدّمه، من مصافحة مسلم، من إرشاد ضال عن طريق يجهله، من الوقوف مع محتاج، من جبر خاطر إنسان مكسور الخاطر، من كلمة طيبة تسديها، من اتصال تواسي به مصاباً، ونحو ذلك.

أعمال الخير عدد الأنفاس، فأين الجاد والمثابر؟



احمد ربك

عبودية الحمد عبودية جلييلة، ولهذا صح عنه
ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ
فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا».

تصوّر نعمة أنت تتلذذ بها، ومجرد أن تحمده سبحانه
يرضى عنك، ولهذا صح عنه ﷺ أنه قال: «الحمد لله تملأ
الميزان»، يعني مجرد أن تقول: (الحمد لله) تملأ ميزان الله
- عز وجل -، وهذا العمل سهل جداً، تقول: الحمد
لله في ثانية، ومع ذلك من كرم أكرم الأكرمين، ورحمة
أرحم الراحمين أنه يتقبله ويملاً به الميزان، ويرضى عنك
ويشيك، وأنت قد تناولت النعم، وتلذذت بالخيرات
التي أوجدها لك - عز وجل -، فهو المنعم المتفضل أولاً
وآخرًا، فلا تنس الحمد دائماً وأبداً.



كَفَّ عَلَيْكَ هَذَا

لا أنسى ما حييت جلسة جلستها مع أحد الصالحين، وهو يشاهد أحد الناس يتكلم بغيبة، فيشير له الرجل الصالح ويضع يده على فم نفسه، ويضرب فمه بأصابع يده، ويقول: كَفَّ عَلَيْكَ هَذَا، كَفَّ عَلَيْكَ هَذَا، وهي أبلغ موعظة يمكن أن تُقدَّم باختصار، وتذكرت قوله ﷺ لمعاذ ابن جبل: «كف عليك هذا»، ويشير ﷺ إلى لسانه.

والحقيقة أننا بحاجة إلى أن نتذكر هذا الحديث دائماً «كف عليك هذا» وهو اللسان؛ لأن تسعة أعشار الذنوب من اللسان: الغيبة، والنميمة، والزور، والبهتان، والقذف، والشتم، والسب، وشهادة الزور، واللعن، والطعن، والسخرية، والاستهزاء، وغيرها كلها من اللسان، إذا تحرّك لسانك ليذنب فتذكر: كف عليك هذا وأمسك؛ حتى يحفظ أجرك، وتسلم من الذنوب والخطايا.



حتى في مجلس العزاء!

حضرت أحد مجالس العزاء في خيمة كبيرة في اليوم الأول من وفاة الميت، وإذا الناس يتحدثون ويمزحون ويضحكون كأنه ما مات لهم ميت، وما اتعظوا بمصيبة الموت، وأخذوا في أخبار الدنيا وأسعارها وعلومها، والمشهد غريب وعجيب؛ فالحضور في مثل العزاء ينبغي أن يكون لاستلهام الدروس، ومواساة أهل الميت، وأخذ العبرة مما حصل، وتكون هناك آيات وأحاديث وعظة وعبرة واستغفار وتوبة، وتذكر القدوم على الله، والاستعداد له، لكن عجبني من ذاك المشهد، وأنا أخبرت بعض الإخوة قالوا: هذا منتشر كثيرًا، فإنه يتكرر في العزاء الأخبار والحكايا التي لا حد لها، مع المزح والتعليقات، وكأنهم ليسوا في مجلس عزاء.

أرجو أن نتدبر أمورنا، وأن نتعظ، وأن نلبس لكل مناسبة لباسها.



مشغول دائماً

يقول أحد العلماء: إنه طلب من صديقه أن يمكث معه بعد صلاة المغرب في المسجد؛ ليتدارسا كتاب الله. قال صديقه: أنا مشغول ساحني، فتركه فترة من الزمن، ثم قال: ما رأيك أن نزور المقبرة؟ فذهب معه، فلما وقفوا على القبور، قال: انظر هؤلاء كلهم ماتوا وهم مشغولون يعني كان عندهم أشغال، فسوف تموت وأنت مشغول، وهذا كلام صحيح؛ فالأموات لم يُخبروا بموعد موتهم، فقد كان عندهم مشاريع وأشغال وأعمال لم يكملوها، ولكن ذهبوا فجأة إلى المقابر؛ لأن الموت بغتهم، ولذلك كم من ميت لم يكمل بيته! وميت لم يتزوج! وميت لم يسدد أقساط سيارته! وميت لم يقض دينه! وميت لم يحج! وميت لم يبر والديه! وميت لم يحسن إلى جيرانه! وميت لم يتصدق ولو بصدقة! وميت لم يقدم خيراً أمامه! إنما كانوا مشغولين طوال الوقت حتى ماتوا، فلا تعتذر بأشغالك عن عمل الصالحات، فإنك سوف تبقى مشغولاً حتى تموت فجأة.

تنتظرون موتي

أعرف تاجرًا كبيرًا أعطاه الله ثروة هائلة، بل هو يعتبر من تجار العالم، وصاحب صلاة في الصف الأول، وصدقات فوق الوصف، وأعمال بر يكتب عنها التاريخ، ونُقل لي أنه كان يمازح أبناءه في بعض الجلسات؛ ولما ذكروا له أنهم يحبونه ويشتاقون للقاءه قال: بل تنتظرون موتي من أجل الميراث، ولكن والله إنني لأتغدى بكم قبل أن تتعشوا بي، وإني أبادر بالخير لنفسي؛ فأوقف أوقافًا هائلة، وتصدق بصدقات تملأ الزمان والمكان، وعوّضه الله - عز وجل - خيرًا كثيرًا في أوقافه غير الأجر المُدّخر عنده.

فانظر إلى هذا الذكاء والنفس المؤمنة، وكيف انتبه لنفسه، وعلم أنه إذا لم يبادر هو بالصدقات وأفعال البر ويقدم لنفسه فلن يقدم أحدٌ عنه شيئًا، فلم يترك لأبنائه مسألة التبرع والصدقة عنه، من يدري هل يفعلون أم لا؟ ومن حقه أن يستفيد من ثروته عند الله؛ لأنه تعب عليها، وسهر الليالي، وأمضى الأيام، ولقي الشدائد،

وقاسى المعاناة حتى جمعها ريالاً ريالاً، فهو أولى الناس
أن يقدم لنفسه عند الله.

أقول لك ببساطة وصراحة: لا تحرم نفسك، ولا
تنتظر من الورثة أن يذكروك، قدم أنت لنفسك، فإنك
بأشد الحاجة يوم العرض الأكبر إلى درهم واحد.



الإنفاق على الأهل

تَضَافَرَتِ الْأَخْبَارُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي فَضْلِ النِّفْقَةِ عَلَى الزَّوْجَاتِ وَالْعِيَالِ لَا سِيَّمَا الْبَنَاتِ، فَمَنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ مَرْفُوعًا: «دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ».

والشاهد أن عليك أن تحتسب ما تنفقه على أسرتك من طعام ولباس وسكن وغيره، فتتوي أنه لوجه الله، وتطلب الثواب من عند الله، فأفضل ما تنفقه أن تبدأ بأهلك، أبنائك وزوجتك وأقاربك، فهي أفضل النفقات، لكن المشكلة أن الكثير لا تحضره النية في هذا، «إنما الأعمال بالنيات»، فحينما يطلبك ابنك أو ابنتك أو زوجتك أي طلب من نفقة أو كسوة أو طعام، فأحضر نيتك، فالله يشبك على ما تقدم؛ ليكتبها الله عنده صدقة متقبلة، فإذا ذاك كسبت الأجر ونفع الأهل، الله الله في النيات.

عبد الرحمن السميّط

تابعت أعمال الداعية الدكتور عبدالرحمن السميّط ﷺ وهو يعيش مع الفقراء والمساكين والأيتام في أكواخ أفريقيا، وقد أسلم على يديه الملايين، وأطعم ملايين البطون، وأسقى ملايين الأكباد، وقام على الدواء والغذاء والعلاج والتعليم والتربية هناك، وبذل عمره هو وزوجته، وترك العيش الرغيد في الكويت لوجه الله، وفي سبيل الله، ثم ذهب إلى ربه ﷻ، فدعا له الملايين في مشارق الأرض ومغاربها، وبقي عمله الصالح عند ربه، وتذكرت حياته الحافلة بالخيرات المليئة بالصالحات، وحياة آخرين قضوها في القصور والدور والذائذ والتنعم، ونسوا الآخرة، وماتوا الميتة نفسها، ولكن الخاتمة مختلفة، والعاقبة والنتائج متباينة، فقل: سبحانه من يهدي من يشاء من عباده إلى ما يحب ويرضى، العمر واحد، والسنوات واحدة، لكن منهم من يجعل حياته كلها في سبيل الله وفي مرضاته، فيسعد في الدارين، ومنهم من يجعلها لهواه ونفسه الأمّارة، فيخسر في الدنيا ويخسر في الآخرة.

نسأل الله أن يثمر أعمارنا فيما يرضيه، وأن يحفظ علينا أوقاتنا، وأن يهدينا سواء السبيل.

حياتنا وحياتهم

طالعت تاريخ السلف وأخبار الصحابة رضوان الله عليهم، فإذا في سيرة أحدهم أنه مثل أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم؛ إذ قالوا عن الواحد منهم: شهد المشاهد كلها، وحضر الغزوات مع رسول الله ﷺ، وهاجر معه، وبذل أمواله كلها، وأصيب في جسمه، وحفظ كتاب الله، وأرسله ﷺ غازيًا ومجاهدًا، إلى آخر تلك الأعمال الجليلة والتضحيات الهائلة الغالية الثمينة، والمبادرة إلى الخيرات، والمصارعة إلى الصالحات، ثم رجعت إلى سير المتأخرين، يقول الواحد: تولى منصب كذا وكذا، وتولى الوزارة، وكان له من الأموال كذا وكذا، وعنده عدة دور وقصور، وتزوج كذا وكذا من الزوجات، وكان عنده خمس مزارع، إلى آخر تلك القائمة، فقلت في نفسي: يا للبون الشاسع بين الفريقين! ويا للاختلاف بين الصنفين! تلك القائمة الأولى قائمة الصحابة والسلف الصالح، قائمة بذل وعطاء وفداء وتضحية، وأجر ومثوبة، والقائمة الثانية قائمة أكل

وشرب، ولذة ومتع فانية، ولذائد منتهية، ولهذا رفع
الله أصحاب نبيه والتابعين لهم بإحسان إلى تلك المنازل
العالية في الفردوس الأعلى، وأنا لا أنكر أن في المتأخرين
من تشبه بسلفنا الصالح، نسأل الله أن يحشرنا معهم،
ويجعلنا ممن يحبهم ويتولاهم.



فوق العادة

قرأت سير أعلام وتراجم أئمة في تاريخ الإسلام، فإذا هم قد حطّموأ أرقامًا قياسية، وعاشوا فوق العادة، فأبو بكر الصديق مثلاً ينفق ماله كله في سبيل الله، ويحضر الغزوات مع رسول الله ﷺ كلها، ويشهد المشاهد جميعها، ويقدم عمره كله لله ولرسوله، وعمر وعثمان وعلي وبقية العشرة لهم أخبار مذهلة في هذا الباب، وابن المسيب من التابعين يقسم أنه لم تفته تكبيرة الإحرام مع الإمام سبعين سنة، وسفيان بن عيينة يحج فيما ذكر الذهبي أكثر من سبعين حجة؛ لأنه بلغ التسعين ويقاربها، والإمام أحمد يطوف الدنيا خمسين سنة؛ ليكتب حديث النبي ﷺ، فيجمع أربعين ألف حديث من أصقاع الأرض، ويسجلها في مسنده، ومنهم من كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، والإمام الشافعي - كما ذكر الذهبي في السير - كان يختم القرآن في رمضان ستين ختمة، وذكر عن القاضي الفاضل كاتب صلاح الدين الأيوبي أنه كان يختم القرآن في كل يوم ختمة، وذكر عروة بين الزبير أنه لما قطعت

رجله من أكلةٍ، وكان من العلماء والعبّاد الكبار، دخل في الصلاة؛ حتى لا يحس، وكان يختم القرآن في كل أربعة أيام، إلى آخر تلك الأخبار التي هي مسطرة وصحيحة وثابتة، ومهما يكن في بعضها من زيادة؛ فإن المتحاكم إليه سنة النبي ﷺ، فهو أعبد الناس، ولكن قصدي انظر إلى هذه الهمم العالية والنفوس المشرّبة إلى الدرجات العلا في الجنة، وانظر إلى هذه المسابقة إلى الخيرات، والحرص على الأنفاس والأوقات ثم قارنها بواقعنا.



الشباب وصلاة النافلة

شاهدت شبابًا ورافقت بعضهم فإذا هم إذا صلوا العشاء يخرجون من المسجد، فلا يسبّحون بعد الصلاة، ولا يصلّون الوتر، ثم رأيت بعد الصلوات لا يصلون النافلة وسألتهم: لماذا؟ قالوا: ليست واجبة، فتعجّبت! قلت: أليست مشروعة مسنونة من الرسول ﷺ؟ قالوا: بلى، ولكن نحن نحصر على الفريضة فقط، والحقيقة أن الذي يتنازل عن النافلة سوف يتنازل عن الفريضة يومًا ما؛ لأن بعض العلماء يقول: من ترك الآداب ابتلاه الله بترك السنن، ومن ترك السنن ابتلاه الله بترك الفرائض، ومن ترك الفرائض ابتلاه الله بالكفر؛ لأن هذه خطوط دفاعية؛ خط أول، وخط ثانٍ، وخط ثالث، وخط رابع وهكذا، فكلما أقنع الشيطان الإنسان أن يتنازل عن خط أتاه بخط ثانٍ، وهكذا حتى يبقى صفرًا من الخير.

وصيتي ألا تتنازل عن الصالحات، وهي من أسهل الأعمال، بالله عليكم هل يكلف الشباب الذين رزقهم

الله القوة والنشاط والصحة أن يسبح بعد كل صلاة
(٣٣) ويحمد (٣٣) ويكبر (٣٣) ويتم الـ «١٠٠ ب» لا
إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو
على كل شيء قدير»؟

هل يكلفهم ويشق عليهم أن يصلوا الوتر ولو ركعة؟
وأن يصلوا ركعتين قبل الفجر، وأربعاً قبل الظهر
وركعتين بعدها، وأربعاً قبل العصر، وركعتين بعد
المغرب، وركعتين بعد العشاء؟ أي مشقة وأي كلفة وأي
تعب؟ والوقت والساعات لهم في سمرهم وسهرهم،
وأكلهم وشربهم، ومزحهم ونومهم، ورياضتهم،
لكن مسامرة الطبع وبعض الجلساء مع اللهو واللعب،
ومطاوعة النفس الأمانة يوصل إلى أكثر من ذلك،
فنسأل الله الثبات على دينه حتى نلقاه.



عاشت البطولات

طالعت سيرة القائد العظيم صلاح الدين الأيوبي الذي فتح بيت المقدس، وكان من أعظم القواد على مرّ التاريخ على الإطلاق، فرأيت في سيرته الصلاح والاستقامة والعدل، والمحافظة على الصلاة في وقتها، وكان له من يجبره بدخول الوقت، وكان له مؤذن خاص، ويحرص على تلاوة كتاب الله، وله ورد في ذلك، وكان يُقرأ عليه الحديث في مجلسه بالسند، ويكرم العلماء، ويحرص على النوافل، ويقدم أهل الخير، ويتقي الله في كسبه، وما يأكله هو وأهله، مع العلم أنه يحكم غالب الدولة الإسلامية، وجيوشه الجرارة كأمواج البحر، ومع ذلك انظر لهذه النفس الأبية الطاهرة التي ارتقت به في منازل الكمال، فرعى حق الله أولاً، فأتاه الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة، وأعطاه الله النصر في الدنيا والتمكين، وفي الآخرة مقعد صدق عند رب العالمين، فرضي الله عنه وأرضاه، ومن شاء أن يتزود من سيرته



فليطالع كتب التاريخ؛ ولينظر كيف أفنى هذا الإمام
القائد البطل الشجاع المقدام عمره في طاعة الله! بينما
بعض الناس فارغ من كل الأعمال، وكسول خامد خامل
معرض عن ذكر الله، بطّال عطل متهاون بالصلاة،
هاجر لكتاب الله، فنعوذ بالله من موت القلب.



كل رمضان في تشاد

لقيت قبل سنوات في الخرطوم شيخاً سعودياً تقاعد من التدريس، وأخبرني أنه في طريقه إلى تشاد؛ ليستعد لدخول رمضان؛ لأنه يصوم كل رمضان في تشاد مع الفقراء والمساكين، ويستأذن أهله في الرياض أن يبقى هناك طيلة شهر رمضان، وكان يجمع تبرعات لهؤلاء الفقراء والمساكين والأيتام بعيداً عن الإعلام؛ لأنه يتعامل مع الملك العلام سبحانه، فإذا دخل الشهر أفطر معهم، وجمعهم على سفرته، وصلى بهم الفرائض والتراويح، ودرّسهم وسهر معهم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ثم تسحّر معهم، وصلى بهم الفجر، وهكذا حتى ينتهي الشهر، ويقضي أياماً معهم؛ فيوزع عليهم الكسوة، ويدخل أكواخهم وبيوتهم الطينية البسيطة، ويدخل عليهم المسرات، ويقول: والله إنها أجمل أيام حياتي، ولا يريد أن يُذكر اسمه، ولا يُنشر له في الإعلام أي صورة؛ لأن العمل مع من يعلم السر وأخفى، لا إله

إلا هو، وقد توفي قبل مدة قليلة، وذهب إلى ربه ليوفيه
جزاء هذا العمل العظيم الجليل.

فما أحسن هذه الحياة التي أفناها صاحبها مع الفقراء
والمساكين والأيتام في أكواخ أفريقيا! بينما بعض الناس
تجده مترفاً منعماً في لغوه وفي لهوه، يتلعب بالصلاة،
ويغفل عن ذكر الله، ويعرض عن كتابه، ويأكل الربا،
ولا يتورع من المحرمات، فنسأل الله السلامة والعافية.



حوّل العادات إلى عبادات

فقط بالنية تتحوّل عاداتك والمباحات التي تقوم بها إلى عبادات تُؤجّر عليها، فأنت لا بد أن تأكل الطعام وتشرب الماء وتنام الليل، فقط انو أنها عبادة تستعين بها على طاعة الله، ويجعلها الله في ميزان حسناتك، ويكتب عليها أجرًا، حرّك فقط النية في كل عمل تقوم به، وقد ضرب السلف أروع الأمثلة في تحويل العادات إلى عبادات، حتى إن معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول: (والله إني أحسب نومتي وقومتي على الله)، أي: أنه إذا نام احتسبها عبادة؛ ليستعين بها على طاعة الله، وإذا قام للصلاة وأي عبادة احتسبها طاعة أيضًا، وذكروا عن الإمام البخاري أنه كان في طريقه إلى خراسان، فأخذ أسهًا وأخذ يتدرب على الرمي، قالوا: ما هذا يا أبا عبد الله؟ قال: رأيت أني في أرض العدو، فأردت أن أتهيأ وأتدرب على الرمي بالسهم؛ لأدافع عنا، واحتسبتها عبادة عند الله.

فما عليك إلا أن تنوي حتى عند النعيم الذي تتناوله أن تكون عبادة تتقرب بها إلى الله؛ لتصبح هي حياتك كلها لله، وفي الله، وإلى الله، وعلى الله كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنعام: ١٦٢].

يا لها من دقائق غالية!

لا أنسى وأنا في ألمانيا بمدينة ميونخ لإجراء عملية
الركب، وقد دخلت في الأشعة المقطعية، وتعرفون أن
هذه الأشعة تذكرك بالقبر، وقبل أن أدخل فإذا بشاب
عربي يجيد اللغة الألمانية يترجم بيني وبين الطبيب، وعليه
آثار الصلاح، فقال لي: يا شيخ، إذا دخلت الأشعة فلا
تنسَ التسبيح! فإنك تستطيع أن تقول في عشر دقائق:
سبحان الله ألف مرة، والله ما نسيت هذه الكلمة منه،
وعجبت لحفظه للوقت، ولنصحه لي، فلما دخلت
الأشعة حركت شفتي من وقت دخولي الأشعة حتى
خروجي، فشعرت بارتياح وهدوء.

ليتنا نستلهم التسبيح دائماً خاصة في المواقف الصعبة
والزحام؛ لأنه حل سريع، وفرج قريب، وطوق نجاة،
ومفتاح خير وبركة، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ
الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [سورة
الصافات: ١٤٣-١٤٤]. سبحان الله وبحمده، سبحان
الله العظيم.

الرحمن يُعبد في كل مكان

لا تظن أن عبادة الله موقوفة على الجزيرة العربية أو بلاد العرب عمومًا، بل في كل القارات هناك عبّاد يعبدون الله ويستعدون للآخرة، ويخططون لها، وكم تمرّ بي من النهاذج، وقد زرت عشرات المدن في العالم، أذكر الآن شابًا تونسيًا في مدينة كورثوفيل بفرنسا، وهي مدينة ثلجية زرتها أسبوعًا كاملاً مع أصحابي، فلقيت هذا الشاب التونسي، وأخبرنا بقصة حياته، وقال: إنه كان في تونس لا يصلي، ثم سافر لفرنسا للدراسة، فدخل المركز الإسلامي في أثناء الصلوات، فاهتدى إلى الصلاة، ولزم قراءة القرآن، وهو يحفظ خمسة عشر جزءًا يعني نصف القرآن، وأسلم على يديه سبعة فرنسيين، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَى﴾ (سورة طه: ٦١)، وعجبت للطف الله عز وجل به، وكيف هداه في بلد هو أصل الفرنجة، وهو بلد غريب عن الإسلام، بينما كان في تونس وهو بلد عربي مسلم، ومع ذلك لم يكن يصلي، فالله يهدي من يشاء، وعجبت لحرصه على وقته، وكثرة تلاوته لكتاب الله، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾ (سورة المطففين: ٢٦).

شاب في إيطاليا

لَمَّا سافرت إلى إيطاليا للدعوة وإلقاء المحاضرات التقيت برجل أعمال سوريّ، ومعه ابنه الحافظ لكثير من القرآن، والذي أصبح يشرح للإيطاليين عن الإسلام، واستضافنا رجل الأعمال هذا في بيته الفاخر، وحدثنا عن حياته؛ إذ سافر من سوريا وهو شاب، وكان يعمل في شركة نقليّات، ثمّ فتح الله عليه في التجارة، فأصبح تاجرًا هناك، ورزقه الله بولد، فاتّجه الابن للقرآن الكريم وكان صوته جميلًا في ترتيل القرآن، ومع إجادته الابن للغة الإيطالية كإجادته للعربية أصبح يدعو هناك، فألقى كلمات ونحن حضور على المسرح، فلفت انتباهنا، وحاز إعجابنا بجرأته، وحسن أدائه، وحماسه للإسلام، وكلّمنا معه في سيّارة والده قلّد لنا أصوات أئمة الحرم، وهو يحدثنا عن الجنّة، فقلت في نفسي: هذا هو الاستعداد للآخرة والتخطيط لها، حتّى من قلب إيطاليا التي هي بلد غربيّ مشهور بالفنون والموسيقا

والعطور، وأهلها منغمسون في عالم الدنيا، ولكن الله
يهدي من يشاء في أي بلد وأي قطر في العالم، وأعلم أنّ
قصّتي سوف تبلغ رجل الأعمال وابنه، فأقول: أهديكما
السلام، جمعنا الله بكما في الفردوس الأعلى، وشكرًا لكم
على كرم ضيافتكما لنا.



صينيُّ بھرنا

لما زرت الصين في مقاطعة لانجو كان الذي ترجم محاضرتي من العربية إلى الصينية الدكتور بهاء الصيني، وهو طالب علم في وجهه نور، يحفظ كتاب الله حفظاً متيناً كأنه يقرأ سورة الفاتحة، وكنت إذا أوردت آية من القرآن ترجم معنى الآية ثم ذكر اسم السورة التي منها الآية هو وأنا لم أذكرها؛ لقوة حفظه، ولما انتهينا سألته في المجلس عن حفظ القرآن، قال: أحفظه -والحمد لله- حفظاً متيناً، قلت: كيف تراجعته؟ قال: أنا أقرأ بعد الفجر خمسة أجزاء كل يوم، وتعجبت، فقلت: يا الله! في شرق الصين تعلم في طفولته العربية بصعوبة، ثم حفظ القرآن وأتقنه، ثم حافظ على خمسة أجزاء يومياً بعد الفجر! وأقول في نفسي: إذا لم يكن هذا هو التهيو والاستعداد للأخرة فماذا يكون إذن؟! إننا بحاجة إلى إعادة الجليل إعادة صادقة للقرآن، فلن يصلحوا إلا بهذا الكتاب الذي أنزله الله على نبيه ﷺ هدى وشفاء لما في الصدور وبياناً ورحمة، وموعظة للمؤمنين، وهذا الكتاب

هو الذي هدى به الله خير القرون أصحاب الرسول عليه السلام، وأنا أعرف أنّ غالب الناس لن يحافظوا على خمسة أجزاء في اليوم لكنّ ألا يمكن للإنسان أن يحافظ على جزء كلّ يوم بتدبر ليختم القرآن في كلّ شهر.

إنّ من يريد الله والدار الآخرة لا بدّ أن يكون له برنامج ربّاني إيمانيّ لا يخلّ به أبداً، والذي يعيش بلا برنامج فاعرف أنّه سوف يخلّ بأداء الواجبات والتزوّد بالصالحات.



عجوز نيجيرية

درس معي في كليّة أصول الدين بأبها زميل لي من نيجيريا، وأنا إلى الآن لم أعرف في زملائي وأصحابي عابداً مثله في الصبر على قيام الليل، وصيام النوافل، فقد رافقته حضراً وسفراً، فكان يقوم في الثلث الأخير من الليل كأنّه على توقيت معين، ويصليّ ويستغفر ويدعو حتّى الفجر، وسألته: كيف يقوم الليل كل يوم على موعد محدد؟ قال: كانت جدّتي في نيجيريا عابدة، وكانت توقظني، وكنا نتعب في المزارع فننام باستغراق فترش عليّ الماء وتقول: (قم صلّ، سوف تنام في القبر طويلاً)، وأنا لم أنسَ كلمتها الآن: (سوف تنام في القبر طويلاً)، وهذه من أعظم المواعظ التي لو وقف عندها الإنسان بتفكّر وتأمل عرف أنّه ينبغي أن يكون له ولو وقت قصير في الثلث الأخير حين التنزّل الإلهيّ، ففي الحديث الصحيح: «ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من

يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له، حتى ينفجر الفجر^(١)، فهل بعد هذا الكلام وهذا الحديث من تواني أو تكاسل أو فتور؟ اللهم أيقظنا في أحب الساعات إليك لندعوك ونناجيك.



(١) متفق عليه.

أطب مطعمك

الكثير يتساهل في مصدر دخله، فلا ينقب ولا يفتش في حلاله من حرامه، وإنما كلما أتاه دخل مالي من أي جهة تساهل في قبوله، وقد يكون عن طريق ربا أو غش أو رشوة، ونتائج هذا الدخل المحرم وخيمة على الاستقرار النفسي والصحة وعلى الأجر والمثوبة، ولذلك الرسول ﷺ ذكر: «الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشَعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبَّ يَا رَبَّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!»، أي: أنه بعيد أن يستجاب له وقد كان دخله حراماً؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وروي في الحديث أن رسول الله ﷺ قال لسعد بن أبي وقاص: «ياسعد، أظب مطعمك تكن مستجاب الدعوة»، فمن أراد أن يستجيب الله دعاءه، ويقبل عمله؛ فعليه أن يمحّص ويتأكد عن مصدر ماله وطعامه وشرابه ولباسه هو وأسرته، فالقليل الحلال المبارك خير من الكثير الخبيث المحرم، فلننتبه لهذا، ولنصحح دخلنا، ونجتنب ما حرّمه الله - عز وجل -، فإنه لا خير في المحرم مهما كثر، إذن هو يورث - بلا شك - أمراضاً في الدنيا، وعقوبة في الآخرة.

(١) رواه مسلم.

كسب في الدنيا وفي الآخرة

هناك تاجر كان متوسط الدخل، فأتته فكرة ذات يوم أن يكفل الأيتام، فضمّ عشرات الأيتام إلى كفالته، وأسكنهم بيتاً، وأشرف على إ طعامهم، ونفقتهم، وتربيتهم وتعليمهم. فأقسم بالله إن دخله قد زاد حتى وصل في الشهر إلى عشرة ملايين ريال، وإنه لا يعزو ذلك إلا إلى كفالته للأيتام، وإن البركات التي دخلت عليه من الصحة والعافية وانسراح الصدر لا تُقدّر بثمن؛ لأن الله كريم سبحانه يكافئ على الحسنة بأعظم منها في الدنيا وفي الآخرة، وليس هناك أحد تعامل مع الله وخسر أبداً؛ لأنّه أجود الأجودين وأرحم الراحمين سبحانه، ولن يكون العبد أجود منه أبداً، فالجود كلّهُ والفضل منه جلّ في علاه، وعليك أن تجرّب التعامل معه سبحانه بكفالة يتيم وإعطاء فقير ومساعدة محتاج؛ لتجد أثر ذلك، وهذا من التهيؤ للقاء؛ لأنّ ما تفعله هنا إنّما تحسّن به مستقبلك عنده سبحانه، وتهبّي قصرك في الجنة، وتبني دورك هناك، وتغرس بساتينك وحدائقك في جوار أرحم الراحمين، فيا لفوز من تعامل مع الله بالحسنى! ويا لسعادة من التفت إلى آخرته، واستعدّها بعمل صالح عند الله!!

لا تجلس فارغاً

عجبت للكثير منّا يجلس في البيت، أو في المنتزه، أو في المكتب، أو في السيارة، أو في الطائرة ساكناً فارغاً لا يعمل، لا يستفيد من وقته، تذهب عليه الدقائق والساعات هدرًا، أو يتكلّم كلامًا فارغًا لا نفع فيه، ومن يعلم أنّ الثواني تكتب عليه، وأنّه أصلًا في رحلة سريعة إلى الله -عز وجل- اغتئم كل لحظة في مرضاة الله -عز وجل-، وأقول لأخي المنتظر الفارغ: حرّك شفّتك، سبّح، سجّل الأجور عند الله، دع الملائكة تكتب لك وتشهد لك عند مولاك، الحياة لا تعترف بالفارغين، الفراغ مهلكة، الوقت عمار أو دمار، إنّ قيمة الزمن أغلى ممّا تتصوّر، إنّ هذه الدقائق التي تمرّ بك تسجّل لك أو عليك، ليس هناك توقّف في الحياة، بادر الفرص ولا تجلس فارغًا في أيّ مكان، أنت في عبادة مستمرة، ففكر في مخلوقات الله، وأطلق نظرك في الكون تكسب أجرًا ومثوبة وتزدد إيمانًا، وحرّك شفّتك ولسانك بالتسبيح والتقديس والدعاء وقراءة ما تيسّر من القرآن، عوّد نفسك زرع الخيرات لك، جتّك تنتظر من يزرعها، دورك في الجنة تنتظر من يبنّيها، أنت الزارع الوحيد، وأنت الباني الوحيد، وأنت أفضل من يكتب قصّة حياته بعمله الصالح.

هدية الزائر

قبل سنوات أتتني فكرة وهي إحضار كتاب (رياض الصالحين) في مجلسي لأبدأ ضيفي بعد الترحاب والتحية بقراءة ما تيسر من أحاديثه ﷺ حتى يكتب لنا المجلس ولا يكتب علينا، وحتى يذكرنا الله فيمن عنده، وحتى نصلي على رسول الله ﷺ، وحتى نخرج من الوعيد الشديد الذي ورد عنه ﷺ في قوله: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ فِيهِ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تَرَةٌ، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ»^(١) أي حسرة وندامة، وفي حديث: «إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيْفَةِ حِمَارٍ»؛ لأنَّ الناس إذا لم يذكروا الله في مجالسهم، ولم يصلُّوا على رسول الله ﷺ، واكتفوا باللغو والغيبة والنميمة قاموا عن إثم وعن زور، فكنت إذا دخل ضيفي استأنست معه، وتحدَّثنا، وقلت: ما رأيك لو نعمَّر مجلسنا، ونظهر أفواهنا، ونطيِّب المكان بأحاديث النبي ﷺ؟، فأجد ترحابًا من الضيف لهذه الفكرة، ولا أطيل

(١) رواه الترمذي.

عليه، فربما قرأت حديثين أو ثلاثة لا أكثر، وربما أعلق عليها تعليقاً سهلاً ميسراً، فكان مكسبي أنني استفدت من المجلس، وأنّ أحاديث رياض الصالحين صارت على طرف اللسان، وصلينا على سيّد ولد آدم ﷺ، واتّجه المجلس بعدها اتّجهاً جميلاً، فإنّ من بدأ بالخير ختم الله له بالخير، فلا تخلّ مجلسك من آية أو حديث، وحاول أن توجه أيّ مجلس وجهة طيبة؛ حتّى لا يحصل فيه إثم يغضب الله - عز وجل -.



جهنم أشدُّ حرًّا

ترتفع درجات الحرارة عندنا في الرياض في الصيف، أحياناً تقارب (٤٨) إلى (٥٠) درجة، والناس يخرجون إلى المساجد في الظهيرة في هذا الحرّ الشديد الذي يكاد يشوي الوجوه، فأتعجب من صبر كبار السن وهم يمشون في شدة الشمس وبعضهم على عكاز ليؤدّي فريضة الله، وأقول في نفسي: هنيئاً لهم، أسأل الله أن يقيني وإياهم حرّ جهنم، ثم تذكرت كلام المنافقين في غزوة تبوك لما كانت في شدة الحر، قال بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحر، فردّ الله عليهم: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ [سورة التوبة: ٨١]، وقفت عند هذه الآية طويلاً، فلو أننا كلّما تأذينا من الحر أو خشينا منه تذكرنا هذه الآية لبادرنا إلى السعي إلى مرضاة الله في المسجد وعلى الطاعة عموماً، حتّى يقول الشاعر الأندلسي أبو إسحاق الإلبيري ينصح ابنه بأخذ الوقاية من نار جهنم في قصيدته المشهورة، يقول فيها:

تَفِرُّ مِنَ الْمَجِيرِ وَتَتَّقِيهِ
فَهَلَّا عَنْ جَهَنَّمَ قَدْ فَرَرْتَا

يقول: أنت في الدنيا تخاف من شدة الحرّ في الظهيرة
وتتوقّى ذلك وتدخل الظلّ، فلماذا لا تتجهّز بعمل صالح
يقيك حرّ جهنّم في الآخرة؟ هي مسألة واضحة، ومعادلة
مكشوفة، وظاهرة لمن تأملها، فقف ولا تنس: ﴿قُلْ نَارُ
جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (٨١) [سورة التوبة: ٨١].



صخب الحياة

إذا سلّمت روحك لضجّة الحياة وصخبها ولهوها ولعها فسوف تخسر قلبك ووقتك؛ لأنّ الحياة الآن صاخبة وسريعة، فلا تجد إلّا إزعاجاً وتسارعاً في حركة الحياة، فالسوق ضجيج، والأسرة طلبات وقضايا ومشكلات، والإعلام يبتّ كلّ جديد من شائعات وأفلام ومسرحيّات ومسلسلات لا نهاية لها، وغالب الناس يتسابقون ويتصارعون ويتنافسون في ميدان الحياة، فأنت إذا غفلت عن قلبك فسوف يقسو وتنسى الآخرة تماماً، لكن ليكن لك محطّات تزوّد للآخرة كالصلوات الخمس، ووصيّتي لك أن توقف كلّ شيء إذا أذن المؤذن كما سبق معنا، واختلس في الضحى دقائق، ادخل في أيّ غرفة من الغرف، أو أيّ مكان من الأمكنة وتوضّأ وصلّ ركعتين، وإذا جلست فليكن لك تسبيح وأنت تتحدّث مع الناس ليربطك برّبك -عز وجل-؛ لأنّ من أدمن اللهو واللعب والغفلة تراكت عليه الخطايا، وأظلمت روحه، وضاق صدره، وأصبح لا يطيق أمر الطاعة، وتكاسل عن العبادة.

الأسئلة الخطيرة

كنت أحضر مجالس سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز أكبر علمائنا رحمته الله، فكان إذا دخل عليه أطفال يمسك الطفل ويقول: من ربك؟ من نبيك؟ ما دينك؟ وتفكرت في هذه الأسئلة التي يعرضها الشيخ على الأطفال، فإذا هي أعظم الأسئلة التي سوف تواجهنا في القبر، وقد مررنا حديث نحو هذا، لكن قصدي هل درّبت أطفالك على الإجابة قولاً وعملاً؟ هل تيقنت أن أعظم استفسارات سوف تمرّ بك وبأهلك هي هذه الأسئلة الثلاثة؟ هل تعلم أنه لن يجيب عنها في القبر إلا من أجاب عنها في الحياة بعمل صالح؟ هل تدري أنه ليس مجرد أن تحفظ طفلك الإجابة وتركه بلا تربية أنها كافية ليجيب في القبر؟ إنني وإياك لن نجيب حتى نحسن العمل خاصّة بأداء الفرائض في هذه الحياة، واجتناب الحرام حتى يثبتنا الله عند السؤال.

إنّ التثبيت عند السؤال في القبر يحتاج إلى استعداد، ويحتاج إلى ثبات على دين الله عزّ وجلّ، ولن يحصل هذا إلا بالصبر والمجاهدة، ومن اجتاز هذه الأسئلة الثلاثة في القبر وصل إلى رضوان الله وجنته ونعيمه جلّ في علاه، نسأل الله أن يثبتنا وإياكم عند السؤال.

مناديل سعد

صح عنه عليه السلام أنه أهديت له حلة جميلة فصلّى بها الجمعة، فلما نزل من على المنبر أخذ الصحابة يسلمون عليه عليه السلام، وباركون له، ويلمسون بردته الجميلة الرقيقة، فقال عليه السلام: «أتعجبون من هذه؟ إنّ مناديل سعد في الجنة خير منها»، وسعد هو سعد بن معاذ الأنصاري رضي الله عنه الذي قتل شهيداً في سبيل الله، أما مناديله فقال بعض العلماء: هي المناديل العادية التي يمسح بها العرق.

لكن الدرس في الحديث كيف أعادهم عليه السلام إلى الآخرة؟ وكيف نقلهم من الدنيا إلى الجنة تماماً؟ وكيف أعطاهم رسالة قلبية ربّانية مباشرة؟ وكيف لفت انتباههم إلى ما هو أعظم وأرقى وأجمل وهو ما يدّخر عند الله -عز وجل-؟ فيا له من درس عظيم نافع مفيد لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد!.



كانهم لن يموتوا

كنت أتعجب وأنا أطلع التاريخ كثيراً من أناس مرّوا في السابقين، سفكوا الدماء، وأكلوا الأموال الحرام، وبطشوا، وظلموا، وتاهوا، وتكبروا، وتجبرّوا، وبنوا، وعمّروا، ثم ذهبوا وهم مرتهنون الآن بأعمالهم، وابن الجوزي العالم الكبير قد سبقني إلى هذه الفكرة في كتابه (صيد الخاطر)، يقول: إنّه لما ألّف تاريخه (المنتظم في تاريخ الأمم) عجب ممّا رآه من الكبار، والأكاسرة، والبياطرة، والقياصرة، والجبابرة، كيف أنّهم عاشوا في غرور وفي غفلة مع شدّة الظلم والبطش، وبعضهم يقول: إنّه لم يمكث في سلطته بعد أن سفك الدماء، وأكل الأموال الحرام، وظلم عباد الله إلّا زمناً يسيراً جدّاً ثمّ انتقل إلى الآخرة، وبعضهم مات قبل الأربعين أو في الثلاثين من عمره، فما تتمتع في الدنيا ولا سلم في آخرته، ومن يقرأ التاريخ يعتبر أيّما اعتبار إذا كان له تيقّظ وله حدس إيمانيّ، أمّا من يقرؤه لمجرّد المتعة فإنّه كالذي يطالع المسلسلات ليقضي بها ساعات الليل، ولذلك الله

-سبحانه وتعالى- قصّ علينا في كتابه لنعتبر، فقال:
﴿فَأَقْصِبْ قَلْبُكَ مِنَ الْإِسْخَارِ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٦]، وقال
-سبحانه وتعالى-: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾
[سورة النور: ٤٤]، فإن كنت في شكّ من انتقال الدنيا
وتغيّرها وتبدّلها، وسرعة انقلابها؛ فطالع كتب التاريخ
تجد العجائب والغرائب.



المقابر تجمع الكل

ذكر الكاتب الأمريكي الشهير ستيفن كوفي في أحد كتبه أنه زار المقبرة الشهيرة في كاليفورنيا بالولايات المتحدة، قال: فوقفت وقفة تأمل، فإذا قبر رئيس الجمهورية بمحاذاة قبر العامل البسيط، وقبر اللاعب الشهير بمحاذاة قبر الخامل المسكين، وإذا الأجداد الدنيوية قد تلاشت وانتهت... إلى آخر ما قال، وأنا عجبت من ذكائه وتفكره مع العلم أنه غير مسلم، ولكن الدرس يصل إلى الأذكى أكثر منه إلى الأغنياء، وإنما يستفيد من هذه الفكرة من يبني عليها إيماناً وتوبة وعملاً صالحاً؛ لأن مشهد القبور مشهد مؤثر جداً لمن اعتبر؛ لأنك إذا زرت المقبرة سوف تُفاجأ بأن فيها ملوكاً، أو أمراء، أو وزراء، أو علماء، أو أغنياء، أو فقراء، أو مساكين، أو أيتاماً، كلهم تساوا من حيث القبور في المظهر، وذهبت تلك الأجداد، والنجاحات، والمناصب، والثروات والشركات والمؤسسات، والبريق الإعلامي، وتصفيق الجمهور، والإعجاب، كله صار هباء منثوراً، وإنما العبرة بالعمل والمنقلب عند الله يوم القيامة، فاعبر فإن زيارة القبور أصلاً للاعتبار، وفي الحديث: «زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة».

عجلة غير مبررة

إذا أردت أن تعرف مستوى الناس في إيمانهم فانظر إليهم في مساجدهم، فمنهم من يبادر بالحضور مع الأذان، ويتابع المؤذن، ويتنفل قبل الصلاة، ويقرأ ما تيسر، ثم يؤدي الصلاة بخشوع، ثم يؤدي أذكار ما بعد الصلاة بهدوء وطمأنينة وسكينة، ومنهم من يأتي متأخراً، وإذا تقدّم قليلاً فلا يقرأ في القرآن، ولا يسبح وإثماً يتلفّت، وينظر في ساعته كأنه في سجن، أو كأنه بلبل في قفص، فإذا سلّم الإمام وثب سريعاً، وخرج من المسجد كأنه يُطرد طرداً، وأنا عجبني من أهل هذه العجلة! ولماذا هذه السرعة غير المبررة مع العلم أنّ الواحد منهم قد يخرج مع صديقه خارج المسجد فيبقى يتحدث معه في كلام فارغ سخيّف لا قيمة له حتّى في شدة الشمس؟!، ولا أعلّل ذلك إلّا بالمعرفة القليبة، والإيمان بالله - عزّ وجلّ -، فكلّما عظمت تقواه سبحانه والخوف منه وخشيته عرف الإنسان قيمة الزمن معه سبحانه، هل تدري أنّ هذا المسجد نفسه أنّه جنّة الله في أرضه، وأنّه

ملاذ أمن للنفوس المطمئنة، وأنّ فيه من الراحة العجيبة
والسكينة والأجور التي لا يعلمها إلا الله؟ فإذا دخلت يا
أخي فاسكن في المسجد واهدأ، واطمئن، وتدبر ما تقرأ،
واخشع في صلاتك، فإنّ الله أعطاك ساعات للدنيا فخذ
منها دقائق للآخرة.



مشهد إيماني في باريس

مكثت في باريس في إحدى السفريات ثلاثة أشهر لمراجعة الأطباء حول موضوع الرّكب، وفي أثنائها كنت ألقى دروسًا ومحاضرات ربّتها الإخوة في المركز الإسلامي هناك، ورأيت باريس بصخبها وحضارتها الماديّة ومقاهيها، مع صخب الشركات والمؤسسات وهدير السيارات، والطائرات، والمحركات، ومع ذلك فلم أجد نفسي وروحي مطمئنّة إلّا في الجامع الكبير بباريس الذي تشرف عليه الجزائر، فقد دخلته عدّة مرّات خاصّة في صلاة المغرب والعشاء، وكان يؤمّنا إمام جزائريّ حافظ لكتاب الله، صوته جميل، وكان المسجد كبيرًا جدًّا، صلّيت مرّة في الصفّ الثامن، والتفت يميني ويساري، فتعجّبت من طول الصفوف، وأحمد ربّي على هذا الإقبال في وسط باريس على بيوت الله - عزّ وجلّ -، قرأ بنا الإمام قوله تعالى: ﴿وَكَايْنِ مِّنْ نَّبِيٍّ قَتَلَ﴾ من سورة آل عمران فتعجّبت من قراءته؛ لأنّنا نقرأ نحن في الشرق على قراءة

حفص ﴿وَكَاْنِ مِّنْ نَّبِيٍّ قَتَلَ﴾ [سورة آل عمران: ١٤٦]، فلمَّا سألت عن ذلك قالوا: هذه يقرأ بها الجزائريون والمغاربة عموماً وهي قراءة ورش، وبعد الصلاة أخذنا نصافح الناس، هذا عربيّ، وهذا باكستانيّ، وهذا إفريقيّ، وهذا تركيّ، وهذا كرديّ، فحمدت الله على نعمة الإسلام، ثمّ حدثت نفسي: سبحان ربّي! في عاصمة الثقافة والحضارة الأوروبيّة باريس يقبل هؤلاء الشباب من كلّ حذب وصوب، ويتركون أعمالهم وارتباطاتهم؛ ليسمعوا كلام الله في بيت الله، وإنّ من أراد أن يستعدّ لآخرته فعليه أن تكون المحطات الخمس في الصلوات الخمس ماثلة أمام عينيه، وعليه أن ينتظر دخول الصلاة بالأشواق؛ ليتزوّد من طاقة الإيمان، وليجدّد توبته، وليغسل ذنوبه، وليطهّر روحه، وليتهيّأ للقدوم على ربّه.



لا تصدّقهم

لا تصدّق غالب الناس في اعتذاراتهم عن الاستعداد للآخرة، وأنهم مشغولون بأمور مهمة جدًّا، فإنك إذا رجعت إلى واقعهم وجدتهم يقضون الساعات الطويلة في حفلات ومهرجانات، يرقصون ويطربون ويغنون ويمرحون ويسرحون، فإذا جاء وقت الفرائض صلّوها بعجلة أو أخلّوا بها، ومنهم من لا يستطيع أن يحضر خمس دقائق في المسجد لأداء فريضة بينما يحضر خمس ساعات في استراحات وسهرات وتقليب لقنوات وسماع ملهيات، ورأيت كبار السن يرقصون في عروضات شعبية، بغض النظر عن إباحتها من عدمه، لكنه إذا أتى إلى الفريضة صلى جالسًا على كرسي، فغالب الناس أصلًا ينشطون في أمور دنياهم؛ لأنهم يعشقونها، أما أمور الآخرة من الصلاة الخاشعة والتلاوة المتدبّرة وذكر الله الدائم فقليل من يفعل ذلك، لذلك يقول -سبحانه وتعالى-: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سورة سبأ: ١٣]، فغالب الناس تغلب عليهم العطالة والبطالة، فلا تصدّق من يعتذر

من الكبار والشباب أن عندهم أشياء الله يعلم بها، وأن عندهم ارتباطات عظيمة، وعندهم اهتمامات جلية، كل هذا كلام فارغ لا يستحق الالتفات له.

فهل هناك قضية أعظم من قضية الرسالة الخالدة وطاعة الباري سبحانه واتباع الرسول ﷺ؟ هذا هو النبأ العظيم، وهذه أخطر قضية في العالم ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١) عَنْ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ [سورة النبأ: ١-٢].

فنسأل الله أن يفقهنا في دينه، وأن يرزقنا رشدًا وبصيرة.



أشعار القبيلة

عرفت من كبار السن وقد أشرفوا على التسعين وهم يلوكون قصائد القبائل، خاصة في الثارات الجاهلية والنعرات القبلية والعصبيات، ويكررون هذه القصائد في كل مجلس، فكأنهم يلقون عليك بيضاً فاسداً، ثم عجبت وقلت في نفسي: ما نفع هذه القصائد خاصة أن فيها ما يثير الضغينة ويذكر بالماضي المؤسف، من قتال بين المسلمين وتفاخر جاهلي؟ والرسول ﷺ يقول في العصبية الجاهلية: «دعوها فإنها منتنة»، وقلت في نفسي: سبحان الموفق! لو أن هؤلاء كبار السن اتجهوا للتسبيح والقرآن، ولو أن الواحد منهم يردد ويكرر سورة الإخلاص أو سبحان الله وبحمده! سبحان الله العظيم! لكتب الله له عظيم الأجر، ولشرح صدره، ولغفر ذنبه، ولحفظ وقته، ولكن التوفيق من الله سبحانه جل في علاه، فقد يُعذر الشاب في أول عمره إذا لها أو سها، ولكن قل لي بالله: من طعن في السبعين أو الثمانين

أو التسعين، متى الإفاقة وقد أصبحت رجله اليمنى في
القبر؟! كما قال الشاعر:

هَبِ الشَّيْبَةَ تُبْدِي عُذْرَ صَاحِبِهَا
مَا بَالُ أَشْيَبِ يَسْتَهْوِيهِ شَيْطَانُ

وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه.



يدخل المسجد وهو جنازة

يقول بعض العلماء: إن بعض الناس لا يعرف المسجد ولا يدخله إلا إذا أدخلوه جنازة وهو ميت، وهذا صحيح، فإن بعض الناس قاطع المسجد تمامًا، ولم يتعرف على بيت الله، فقط في حالة واحدة إذا مات وغسلوه وكفّنوه أدخلوه المسجد؛ ليصلوا عليه، وبئس هذه الحالة!

إنها لخسارة عظيمة إذا قضى الإنسان عمره وهو لم يدخل المسجد كل يوم خمس مرات، فما بركة الأوقات؟ وماذا يريد بعدها من نجاحات؟ ولقد هزني مشهد رأيت في فيديو للمسلمين في كندا والثلج ينهمر عليهم وقد أتوا إلى صلاة الفجر هناك، وما استطاعوا أن يأتوا بالسيارات؛ لأن ركاب الثلج أمامهم قد حال بينهم وبين المسجد، فبعضهم أتى يتعكّز على عكاز من مسافة نصف ساعة في شدة البرد، وانهمار الثلوج ليؤدوا صلاة الفجر هناك في كندا، فسبحان الموفق والهادي إلى سواء السبيل!.



سوف تدفع

سررتي مقولة قصيرة للمفكر المصري الكبير مصطفى محمود وهو يقول: الحياة الدنيا مثل السوق (Super Market)، خذ ما شئت من السوق، واحمل ما شئت، ولكن عند الباب هناك صندوق محاسبة، ستدفع ستدفع، وصدق فيما قال.

وهذا مثل الحياة، افعل ما شئت في الحياة، وخذ راحتك، وتصرف كما أردت، واتبع نفسك الأمانة بالسوء، لكنك سوف تدفع كل شيء، وسوف تُحاسب، وسوف تؤدي المظالم، وسوف يُقتَص منك على كل خطأ.

فانتبه! هناك حساب، نعم هنا مهلة، وهنا وقت وفسحة، لكن اعرف أن أمامك مصيرًا محتومًا سوف تواجهه، فانتبه! وتذكر مثل السوق (Super Market).



ممنوع الاقتراب!

كنت أمشي في شارع في الرياض فإذا بلموحة أمامي بالخط الأحمر (خطر ممنوع الاقتراب)، وإذا هناك حفريات والسيارة كلما اقتربت أخذت ذات الشال؛ حسب تعليمات المرور، وتذكرت أن الدنيا مثل ذلك، أنت تمشي في طريقك إلى الآخرة ولكن هناك لوحات لابد أن تقف عندها ملونة بالخط الأحمر، تحبرك أنه (خطر ممنوع الاقتراب).

أيضاً هناك محرّمات حرّمها الله ورسوله ﷺ عليك أن تتعرف عليها، وأن تقف عندها، وأن تحترم حدود الله، وإلا سوف تقع في كارثة، وقس على ذلك بقية الأمور، فإن هناك إشارات خضراء، وهذه هي المباحات وهي كثيرة، ولذلك يقول سبحانه عن رسوله ﷺ: ﴿وَيُحِلِّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٧]، والطيبات هي أصناف وأشكال وأنواع، ألوف مؤلفة من الخيرات والبركات والأرزاق، والخبائث المحرمة قليلة، لكن النفس الأمّارة بالسوء والشيطان يدعوانك إلى هذا القليل، ويذهباك في المباح الكثير الطيب، فانتبه إذا رأيت المحرم فقف وتذكّر: (خطر ممنوع الاقتراب).

الأذان في بونديو

بت ليلة في جبل موندو المشرف على جاكرتا عاصمة إندونيسيا المكتظة بالسكان، وهناك مدن مجاورة له، لكن الذي هزني وأذهلني أصوات الأذان عند صلاة الفجر! صدّقوني لقد أخذت الجبال تتجاوب مع أصوات المؤذنين بنغمات جميلة تكاد تأخذ الألباب، وسرّت هذه الأصوات في الفضاء من مكبرات الصوت، فاهتزّ المكان والوجدان والزمان والإنسان بنداء الرحمن، وهو رفع الأذان، وتصوّرت عظمة الإسلام في بلد بعيد عن مكة وهو إندونيسيا، ولعلمكم إندونيسيا لم يدخلها جيش فاتح من جيوش المسلمين ولا سلاح، فقط تجار مسلمون مؤمنون يحملون الأخلاق العالية الرفيعة، فاهتدى أهل إندونيسيا وأسلموا جميعاً.

عدد سكان إندونيسيا الآن (٢٤٠) مليوناً، وكلهم مسلمون والله الحمد. وأعظم ما يدعوك للاستعداد والرحيل والتذكّر هو الأذان خاصة في صلاة الفجر، فهنيئاً لمن تابع الأذان، وحرص على الصلوات، بداية من صلاة الفجر، وأهنئ الشعب الإندونيسي على هذه العظمة، والهالة والمفخرة في روعة الأذان مع صلاة الفجر في تلك البلاد.

برامج مشجعة

سرّني ما رأيت من برامج تصلح للجوال (الموبايل) وهي تطبيقات سهلة، منها برمجة جوالك على أنه كلما فتحت الجوال ظهرت لك آية من القرآن فتقرؤها، ومع كثرة فتحك لجوالك (الموبايل) تجد أنك قرأت في اليوم الواحد مئات الآيات من حيث لا تشعر دون سامة أو ملل، وبعضهم اقترح أيضًا أن تفتح جوالك بداية على تطبيق المصحف، فتقرأ منه وجهًا واحدًا في دقيقة أو دقيقتين، كل وجه فيه (١٤٠) حرفًا، والحرف بعشر حسنة، أي: (١٤٠٠) حسنة في دقيقة واحدة، ولكن قبل هذا الحساب والتطبيق والدقائق، فإننا نحتاج إلى قلوب حية، تعلم أنها راحلة، وتؤمن بالله، وتعد العدة للقاءه، جل في علاه.



أيهم أسبق؟

يقول عمر رضي الله عنه: قلت في نفسي يوماً من الأيام لأسبقن أبا بكر الصديق ولو مرة، قال: فأخذت نصف مالي والنبي ﷺ يجهز لجيش تبوك جيش العسرة، فأتيت النبي ﷺ وظننت أنني أكثر من أتى بهاله، فدفعت نصف مالي للنبي ﷺ، ثم قلت للنبي ﷺ: يا رسول الله، هل أتى أحد قبلي؟ قال: «نعم، أخوك أبو بكر، أتى بهاله كله». قال عمر: والله لا أسابقه بعد اليوم.

إنه السبق، إنها الريادة لأبي بكر، إنه المركز الأول، حتى إنهم يقولون فيه وفي أمثاله:

مَنْ لِي بِمِثْلِ سَيْرِكَ الْمُدَلَّلِ
تَمْشِي رُؤَيْدًا وَتَجِي فِي الْأَوَّلِ

لله در الهمم! أما حدثت نفسك في المراكز الأولى، في الصف الأول خلف الإمام، في الصف الأول في تلاوة القرآن، في المراكز الأولى في ذكر الله، في المركز الأول في الصدقة.

حدث نفسك فإن العمر قصير والأجل قريب.

الاستعداد للرحيل

في صحيح البخاري عن ابن عباس قال: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَذْرٍ، فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ: لَمْ تُدْخِلْ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءُ مِثْلُهُ؟! فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مَنْ قَدْ عَلِمْتُمْ، فَدَعَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ، فَمَا رَأَيْتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ، قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [سورة النصر: ١]؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَمَرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنُسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا، وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: أَكْذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ لَهُ، قَالَ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [سورة النصر: ١] وذلك عَلامَةٌ أَجَلُكَ، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [سورة النصر: ٣]، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ.

والشاهد أن النبي ﷺ لما نزلت هذه السورة في آخر

حياته بعد النصر والفتح كان يلزم في صلاته كما تقول عائشة رضي الله عنها: «سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي».

فالاقتران بين التسبيح والاستغفار في آخر العمر مطلوب وهو من السُّنَّة، والحقيقة أن كل واحد منا لا يدري متى آخر عمره؛ لأن بعضنا يظن أن عنده عهدًا سوف يبلغ الثمانين والتسعين، فيجعلها آخر عمره، وقد يكون آخر عمرك هذا اليوم الذي تعيش فيه. فأحسن الخاتمة أحسن الله لنا ولك العاقبة.



ليس بصحيح

المنهج الذي يسلكه الفلاسفة خاصّة الملاحدة منهم، وعليه كثير من المثقفين الدنيويّين، من نسيان الموت، وعدم التحدّث في الآخرة، وأنّك لا تأتي بعلامات الساعة، ولا تذكر لهم الجنّة ولا النار، هؤلاء كلّهم محجوبون، حجب الله بصيرتهم عن الآخرة، وقد ندّد الله وهدّد من كفر بالآخرة، وتوعّدهم بأليم العذاب في آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِوَرِيٍّ لَيْسَ شَيْءٌ مِمَّا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة التغابن: ٧]، فالיום الآخر أخذ مساحة كبيرة في الكتاب والسنة؛ لذا لا بدّ أن نفهم الناس، وهذا اتّفق عليه العقلاء من الشرق والغرب، حتى إنّني أقرأ لكتاب غربيين غير مسلمين فضلاً عن المسلمين أنّهم يذكرون الموت والمصير والنهاية والآخرة، نقل الطنطاوي عن ديكارت أنّه قال: (إنّا شاهدنا مشهد الحياة، رأينا من المسرحية المشهد الأوّل، ورأينا في الدنيا الغالب والمغلوب، والقوي والضعيف، والظالم والمظلوم، أين المشهد الثاني الذي يُنتقم للمظلوم

من الظالم، والمغلوب من الغالب؟!)، قال الطنطاوي:
وهذا اعتراف ضمّنيّ باليوم الآخر عنده ولو لم يصرّح
به، قلت: لأنّ المشهد انتهى، وما انتهت القصّة والحكاية،
لابدّ من يوم آخر ينصف الله العباد، ويحكم بينهم وهو
يوم الدين، يوم لا حاكم إلّا الله، ولا قاضي إلّا الله،
تقدّست أسماؤه. المقصود ليكن اليوم الآخر أمام عينيك
وفي قلبك.



إصلاح دنياك

لن تصلح دنياك، وتستقيم أمورك، وتحسن أخلاقك إلا إذا آمنت باليوم الآخر؛ لأنك إذا علمت أن هناك جزاء وحسابًا وثوابًا وعقابًا أحسنت العمل؛ ولذلك يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لولا يوم القيامة لكان غير ما ترون»، والمعنى لولا يوم القيامة الذي سيحاسب به الله الناس جميعًا، لأخذ كل واحد منا راحته في الظلم والبطش والتعدي إلى الحرام، وتجاوز الحدود، لكن يردع الكثير من المؤمنين أنهم علموا أن الله سوف يحاسبهم يوم العرض الأكبر، ولذلك إيماننا باليوم الآخر لا يعني أننا نترك الدنيا بل نعملها، ونحسن الخلافة فيها حتى يثبنا الله في الآخرة؛ ولذلك من يؤمن باليوم الآخر تجده أكثر نجاحًا وفلاحًا وتوفيقًا وبناء وإعمارًا وعطاء وبذلاً.



كلمة صادمة

في سيرة الإمام ابن دقيق العيد العالم الشافعي والكبير أنّه قال: ما تكلمت بكلمة منذ أربعين سنة إلا أعددت لها جواباً عند الله يوم القيامة، وهذه الكلمة هزّرتني ووقفت عندها طويلاً، وقلت: يا الله! منذ أربعين سنة مجرد كلمة ما تكلم بها هذا الإمام إلا أعدّها جواباً عند الله، كيف بمن يتكلّم في اليوم مئات الكلمات وآلاف العبارات لا يلقي لها بالاً من السبّ والغيبة وساقط القول والسخرية واللعن والاستهزاء؟! أعاذنا الله من ذلك.

إنّ قضية الإيمان باليوم الآخر لا تعني فقط مجرد الاعتقاد، لكن اعتقاد وعمل ميدانيّ يوصلك إلى أن تحجز نفسك عن الحرام، وتذكّر أنّك سوف تُحاسب على ما أخذت، وما أعطيت، وما قلت، وعلى كلّ تصرّف؛ لأنّ هناك محكمة إلهية ربانيّة عالميّة تُعقد يوم القيامة، الحاكم فيها هو الله؛ ولهذا هو مالك يوم الدين، وفي الحديث الصحيح أنّ الله يقول: «يطوي

الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين ثم يأخذهن بيده الأخرى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»، انتهى الأمر، كلُّ سوف يدفع الثمن، وسوف يُحاسب، وسوف يوقف بما قدّم وأخّر.



غالب الناس في غفلة

سَلْ أبنائك وقرابتك وأعمامك وإخوانك وأبناءهم وأصدقاءك في آخر يوم من الأيام: من قرأ منهم جزءاً من القرآن بتدبّر؟ من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير (١٠٠) مرّة في هذا اليوم؟ من الذي حافظ على الصلوات الخمس في وقتها؟ من الذي اهتمّ بذكر الله وأكثر منه؟ من الذي فعل خيراً ولو صدقة، أو إصلاحاً بين الناس، أو وقف مع مسكين، أو عاد مريضاً، أو جبر خاطر يتيماً؟ هل تجد ذلك؟! وإن وجدت فالنسبة -والله أعلم- تقل عن (١٠) بالمئة، وما هذا إلا لكثرة غفلة الناس، واستغراقهم في أعمالهم وأشغالهم وأهوائهم وانغماسهم في حبّ الدنيا، ومطاردتهم لمقاصدهم الدنيويّة مع العلم أنّ هذه العبادات العظيمة لا تأخذ إلا دقائق، وربّما لو جمعتها جميعاً تأتي في ساعة أو في ساعتين، ويبقى لهم بقيّة الساعات في راحتهم وأكلهم وشربهم ونومهم، ولكنّ القلب إذا غُلف بغلاف اللهو واللعب لا يستفيق صاحبه؛ لأنّه مبنج أصلاً، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عَمْرٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَغَلَّبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشًّا فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الجاثية: ٢٣].

أين دواء القلب؟

قبل عشر سنوات دُعيت إلى مناسبة واحتفال في زواج أحد الأصدقاء، فذهبنا لقبيلة أخرى منذ صلاة العصر مبادرين، ومكثنا في قيل وقال مع بعض الاحتفالات، ثم مرّ وقت، المغرب ثم العشاء والعشاء، ثم السمر، وعدت إلى بيتي فأحسست بقسوة وغفلة وقلق واضطراب، فما عوّضت هذا إلا في اليوم الثاني، لزمت المسجد مع القرآن وصحيح البخاري من بعد صلاة العصر إلى المغرب، فصدّقوني ما وجدت الدواء إلا هناك، ولا وجدت الأمن والراحة إلا مع قال الله وقال رسوله ﷺ في المسجد، فعادت لي روحي، وانشرح صدري، وأحسست بالأمان، كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد: ٢٨]، وأنّ المسجد هو بيت السكينة في العالم، وأنّه دار الاطمئنان والانشراح والفلاح، فقل لي بالله: من يذهب أيامه في السهرات والغفلات والقيل والقال والذهاب مع الفارغين و مجالسة البطالين كيف يكون حاله؟!.

أحرص على الجلّيس

جربّت نفسي في حياتي مع كثير من الجلساء، فبعضهم
أجلس معه من الصالحين فيذكّرني بالقرآن، والصلاة،
والآخرة، وفعل الصالحات، ودنوّ الأجل، فأجد في
نفسي نشاطاً لفعل الخير، وكثرة الاستغفار والتوبة،
وحبّ المسجد والمصحف، وأعود بنفس أخرى، وقد
وصلت رسائله إلى قلبي، وأجالس بعض الناس من
أهل الدنيا فأجد انغماساً في اللهو، وفي حبّ الدنيا، وفي
عشقها، وذكر العلوّ فيها، والمناصب، ومدح الأموال
والشركات والمؤسسات، فيقسو قلبي ويظلم، وأشعر
بغفلة وخمول عن الطاعة، وكسل عن العبادة، وما يعود
لي قلبي إلّا بعد فترة، فعلمت أنّ مسألة الجلّيس مهمّة،
اختر من تجالس أقل لك من أنت، كما قال الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكلّ قرين بالمقارن يقتدي

مات الوالد

حدّثني أحدهم قائلاً: إنّ أحد الإخوة كان له صديق وهذا الصديق هو ابن تاجر كبير، وكان هذا التاجر بخيلاً على أبنائه وحريصاً على جمع المال، يقول: وبعد مدّة لقيت زميلي، فإذا هو راكب سيارة مرسيدس جديدة، وإذا عليه آثار النعمة، قلت: بشّر ماذا حصل؟ قال: أبشرك مات الوالد، بكلّ سهولة يقوها وبكلّ فرح، قلت: وكيف؟ قال: لمّا مات تقاسمنا الميراث، وأصبح لي نصيب يُقدّر بالملايين، فاشتريت منه هذه السيارة، واشتريت بيتاً، فقلت أنا في نفسي: هذا حالهم في الدنيا فكيف في الآخرة؟!

إذا كان ورثتك وذريّتك يفرحون أحياناً إذا مت ليرثوك؛ ليرثوا عنك المال إذا كنت غنياً فكيف يوم القيامة إذا طلبت من الواحد منهم حسنة مع العلم أنّ هذا لن يحصل؛ لأنّ كلّ إنسان يقول يوم القيامة: نفسي نفسي، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۖ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ

﴿٣٥﴾ وَصَجِبَهُ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُعْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴿٣٧﴾
 [سورة عبس: ٣٤-٣٧]. وأقول لك: بادر، قدّم لنفسك،
 ولا تعتمد على الورثة في التصدّق عنك، وإذا ظننت أنهم
 سوف يتصدّقون عنك في المستقبل أو بعد موتك فأحسن
 الله عزاءك في هذا الزعم والظن.



أحسنْتَ إلى نفسك

لا تظن أنّك إذا فعلت خيرًا في الحياة، وعمّرت مساجد، وكفّلت أيتامًا، وتصدّقت على فقراء، وأعطيت مساكين؛ أنّك قد زدت في ملك الباري سبحانه، أو أنّك قدّمت نفعًا لأكرم الأكرمين الغنيّ الماجد جلّ في علاه، فالله غنيّ عنيّ وعنك وعن العالم جميعًا، هو الذي خلقنا ورزقنا وأغنانا، ولكنّك أحسنت إلى نفسك، وأنا كلّما رأيت أحدًا فعل خيرًا كأن يحفر بئرًا، أو يبني جامعًا، أو يتصدّق بصدقة قلت له: أنت أكرمت نفسك، أنت أحسنت إلى نفسك فقط، فالواجب عليك أن تشعر أنّك تكرم نفسك بهذه الأمور الجميلة، صحيح أنّها تنفع الناس، ويصل خيرها إلى الغير، لكنّ أوّل المنتفعين أنت، وأوّل المستفيدين أنت، فمبارك لك في هذا الفعل، وهنيئًا لك هذه البشريّ التي تُزفّ إليك أولًا، فأنت أحسنت إلى نفسك؛ لأنّك تنقذها من غضب الله وعذاب الله؛ ولأنّك تكرمها في الآخرة؛ لأنّ الثواب المعدّ لك لا يدور في الخيال، ولا يخطر في البال من النعيم المقيم في جنّات النعيم، في جوار ربّ كريم.

حاسب نفسك

من المعروف لدينا نحن البشر أنّ عندنا قوائم بالحسابات للشركات والمؤسسات والبقالات، وعندنا فواتير خاصة بمصاريف الأسرة، ونحاسب العمّال، وعندنا قائمة بما نحتاج إليه وبأسعارها، ونعرف كم يدخل في حسابنا وكم يخرج منه، وكم هو الوارد والصادر، هذا في أمور الدنيا، وتجّد عندنا من الذكاء ومعرفة أدقّ التفاصيل حتّى في أسعار الفواكه والخضروات، والمشتريات، والمقتنيات، والملبوسات، والمفروشات، والمطعومات والمشروبات، كلّ هذا نعرفه بدقّة وعناية واهتمام وتركيز، لكن في أمور الآخرة تجّد عندنا تفريطاً وتضييعاً، فليس هناك قائمة في آخر اليوم قبل النوم تخص محاسبة النفس عن الصلاة، وعن التوبة، وعن قراءة القرآن، وعن برّ الوالدين، وعن تربية الأبناء، وأين التقصير؟ وأين الإحسان؟ وأين الإساءة؟ وأين الزيادة؟ وأين النقص؟ وأين الحسنة؟ وأين السيئة؟

ولو فعلنا ذلك لانصلحت أمورنا، ولو أعطينا حساباً للآخرة عُشرَ ما نعطي الدنيا من حسابات وتفاصيل لكنّا أفلحنا ونجونا وفزنا.

كم نسبة القرآن؟

أنا وإيّاك نشاهد ونستمع في اليوم إلى برامج كثيرة جدًّا، سواء في التلفاز، أو في وسائل التواصل الاجتماعي: التويتر، والفيسبوك، والانستجرام، والتليجرام، واليوتيوب، والسناوب، والكتب، والدوريات، وغير ذلك.

كم نسبة ما نقضيه من وقت أمام هذه البرامج ونسبة ما نقضيه مع كتاب الله القرآن العظيم، الكتاب المعجزة الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلُ مَنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت: ٤٢]، سل نفسك تجد أنك تقضي الساعات الطويلة في هذه البرامج وتقضي دقائق معدودة فقط مع القرآن، والكثير أصلاً لا يعطي القرآن حتّى دقائق، ثم يسألون أنفسهم: لماذا يصيبهم الأرق والقلق والهَمّ والغَمّ والحزن وضيق الصدر؟ لأنّه كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [سورة طه: ١٢٤].

لا حياة ولا استقرار إلّا بالعودة الصادقة لكتاب الله

وسنة رسوله ﷺ، والعيش معه سبحانه، فإن العيش
مع دين الله يطيب لك الدنيا والآخرة، ﴿رَبَّنَا آتِنَا
فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ
﴿٢٠١﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٠١].



هذا هو الذكاء

قرأت عن وزير شهير كبير كان عندنا توفي
ﷺ، وكان شاعراً وأديباً وكاتباً، يقول: إنه في آخر
عمره صار يلزم القرآن وكتاب (جامع الأصول) لابن
الأثير في الحديث النبوي، وكان يشني على هذا الكتاب،
ويسميه النفيس الرائع، فعجبت له ﷺ كيف تيقظ
وكيف ختم حياته، مع العلم أنه درس في الغرب،
وعنده أرقى الشهادات، و متمكن في اللغة الإنجليزية،
وعنده ثقافة واسعة، ولكن من ذكائه وفطنته عرف أن
الطريق لا بد أن يكون إلى الله في آخر العمر، وبعد رحلته
مع الكتاب والحديث النبوي أصيب بالسرطان وتوفي
غفر الله لنا وله.

أقول: هذا تسديد من الله، نسأل الله حسن الخاتمة، فإنك
مهما علوت، وتولّيت، وجمعت، واشتهرت، ومُدحت،
وصفقت لك الدنيا، وكبر لك الدهر، ومدحك الجمهور،
ففي النهاية سوف تدفن في حفرة صغيرة، وينثر عليك
التراب نثرًا، وينسأك الناس حتى الأقربون.



الناس في غفلة

نحن برحمة أرحم الراحمين، وأنا لا أقول: قد هلك الناس، فقد صح عنه عليه السلام أنه قال: «من قال هلك الناس فهو أهلكهم»، فنحن كلنا نرجو أن يتجاوز الله عنا ويسامحنا، ولكن المشاهد إعراض الناس عن ذكر الله وطاعته إلا من رحم ربّي، فغالبيتهم في صلات الانتظار وفي المطارات وفي الطائرات وفي الحافلات؛ غالبيتهم لا يسبّحون ولا يذكرون الله إلا نادراً، فتجد الواحد منهم شاردًا مفكّرًا في أمور الدنيا، أو يتحدث مع صديقه وزميله في كلّ قضية جزئية ومسألة، أو مشغول بجواله يتصفح التويتر والمواقع الأخرى؛ خشية أن يفوته شيء من أمور الدنيا، وقلما تجد من يسبّح الله بأوراد معروفة، ويكون عنده حضور في التسبيح إلا النادر، وأنا رأيت من هذا النادر من شرح صدري، رأيت من ركبت مرّة بجانبه في الطائرة ففتح مصحفه، ثم رأيت يسبّح في أصابعه، ثم رأيت يرفع يديه ويدعو كأنه في المسجد، ونحن بين السماء والأرض، هذا عمل جميل ورائع إلى غير ذلك، ولكن هذا هو النادر القليل في الناس، كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سورة سبأ: ١٣).

عامي عارف

أقول كما قال ابن الجوزي في (صيد الخاطر): إنه وجد بعض العوام أكثر طاعة لله من بعض أهل العلم، وأنا رأيت ذلك في حياتي، رأيت من العوام من لا تفوته تكبيرة الإحرام في الصف الأول، ورأيت منهم سليم الصدر، ورأيت منهم من لا يأكل إلاّ الحلال، ورأيت منهم المواظب على تلاوة القرآن، ورأيت منهم كثير الدعاء والاستغفار، والتوبة والبكاء، مع برّ الوالدين، وصلة الرحم، وحسن الخلق وهو عامي، وبعضهم إنَّما درس دراسات بدائية، وبعضهم لا يستطيع أن يكتب حرفاً، ورأيت من بعض من يُنسب إلى العلم القسوة، والكبر، والفظاظة، وجمع المال حتّى من الشبهات والحرام، وعقوق الوالدين، وقطيعة الرحم، والإخلال بالنوافل والعبادة ما الله به عليم، فعجبت!

الهادي هو الله -جلّ في علاه-، وأحياناً قد يكون العلم وبالأعلى صاحبه، ولذلك انظر إلى كتاب الله

كيف الله هَدَدَ وَنَدَدَ بهذا الصنف المنحرف عن منهجه،
 فقال تعالى: ﴿وَأَقْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايِينَآ فَأَنسَلَخَ
 مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ ﴿١٧٥﴾ [سورة
 الأعراف: ١٧٥]، وقال عن أعدائه الذين لم يستفيدوا
 من العلم الذي حملوه: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾
 [سورة الجمعة: ٥].

فنسأل الله علماً ينفعنا، ونعوذ بالله من علم لا ينفع، ومن
 عين لا تدمع، ومن نفس لا تشبع، ومن قلب لا يخشع.



عامل عرف الله

حدّثني أحد أصدقائي أنّه كان يعمل عنده عامل من إثيوبيا، عليه آثار العبادة والزهد والصدق، وكان يشتغل في مزرعته ويتمم بشفتيه، قال: فسألته: ماذا تقرأ؟ قال: أنا أقرأ القرآن، قلت: تحفظ منه كثيراً؟ قال أحفظه -والحمد لله- كلّ من صغري، قال: إذا أتت صلاة الضحى صلّي، وإذا سمع الأذان أوقف كلّ عمل وانطلق للصلاة، أعطيه من الصدقة فيأبى، ويقول: لا، أنا لست محتاجاً إلى الصدقة، أنا أريد أن آكل من عرق جبیني ومن تعبني!.

قال: هذا العامل غير المتعلم، وغير الحامل للشهادات الجامعية والماجستير والدكتوراه؛ أعطاني رسالة في الحياة لا أنساها، رسالة في التمسك بالإسلام، وصدقه مع الله، وحرصه على الحلال، ومواظبته على الصلوات، والدعاء والاستغفار، لا أنساه ما حييت.



فسبحان من يفتح على من يشاء من عباده! وكما قالت
العرب: (في الزوايا خبايا)، وكم لله من وليٍّ في عِشَّة، أو
في غرفة طين، أو في كهف، وكم لله من عدو عنده دور
وحداثق وبساتين وقصور!؛ لأنَّ الدنيا يعطيها الله من
يحبُّ ومن لا يحبُّ، والدين لا يعطيه الله إلَّا من يحبُّ.



استشهد الطبيعة

قال تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾ [سورة يس: ١٢].

قال بعض المفسرين: تشهد الأرض لمن فعل عليها خيراً أو شراً، وقال بعض العلماء: إذا مرّ ذاكر لله بجبل باهى الجبل في المساء جبلاً آخر، قال: مرّ بي اليوم ذاكر أو مسبح، فاستشهد الطبيعة إذا مررت بها؛ عليها تشهد لك يوم القيامة قبل أن تموت، سبّح في الوادي، كبر في الجبل، قل: لا إله إلا الله؛ على التل، قل: الحمد لله؛ في الحديقة، قل: أستغفر الله؛ وأنت تمشي، صلّ على النبي ﷺ، وأنت جالس في سفح جبل، املاّ الشعاب ذكراً، عبى الأودية تسبيحاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخْتَلَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١١٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾ [سورة آل عمران: ١٩٠-١٩١].

إذا لم يشد نظرك بديع صنع الباري ويذهلك هذا
الإتقان في خلق الحكيم القديم، ويدهشك هذا الإعجاز
في تناسق الكون فراجع قلبك فإن فيه موتاً عسى الله أن
يحياه بذكره ونوره. المهم أن تترك لك بصمات في الطبيعة،
حتى إذا استشهدت يوم القيامة تشهد لك، وسجل على
صفحات الأرض وفي مسارها شهادة حسن سيرة
وسلوك لك بالعمل الصالح، والتسبيح، والصلاة،
وتلاوة القرآن، والصدقة، وحسن الخلق.



حَكْمُهُ فِي حَيَاتِكَ

حَكَمَ رَسُولُكَ ﷺ فِي حَيَاتِكَ وَفِي كُلِّ شَأْنٍ مِنْ شُؤْنِكَ،
 قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا
 شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا
 قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [سورة النساء: ٦٥]، حَكَمَهُ
 فِي صَلَاتِكَ فَصَلِّ كَصَلَاتِهِ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ: «صَلُّوا
 كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصِلِي»، حَكَمَهُ فِي حَجِّكَ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ:
 «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ»، حَكَمَهُ فِي كُلِّ شَأْنٍ مِنْ شُؤْنٍ
 حَيَاتِكَ قَالَ ﷺ: «مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»،
 فَتَحَكَّمَهُ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَاللِّبَاسِ وَالنَّوْمِ وَالْيَقَظَةِ
 وَالتَّعَامُلِ مَعَ النَّاسِ وَالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَفِي كُلِّ شَأْنٍ وَفِي
 كُلِّ أَمْرٍ، لِأَنَّ اللَّهَ بَعَثَهُ قُدُوةً لَكَ وَأَسُوءَةً، قَالَ تَعَالَى:
 ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ
 وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٢١]، وَمَنْ
 تَيَقَّنَ أَنَّهُ سَوْفَ يَرْتَحِلُ إِلَى اللَّهِ جَعَلَ إِمَامَهُ رَسُولَ الْهُدَى
 ﷺ، وَجَعَلَ السَّنَةَ طَرِيقَهُ؛ لِأَنَّ السَّنَةَ النَّبَوِيَّةَ سَفِينَةَ نُوحٍ،

من ركب فيها نجا، ومن تخلف عنها هلك، وليس في
العالم أحد يدور معه الحق حيثما دار إلا رسول الله ﷺ،
فكلامه وتبسمه وضحكه ومزاحه وبكاؤه ونومه وطعامه
وشرابه ولباسه وعبادته شريعة يُتَعَبَّدُ بها، فتقرب إلى الله
باتباعها ﷺ تفلح في الآخرة وتنج.



كل الوقت عبادة

يقول ﷺ فيما صحّ عنه: «إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، فأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حَقَّهُ»، والمعنى أَنَّك إذا نويت بكلِّ تصرّف مباح في حياتك أَنَّهُ لوجه الله صار عبادة تؤجر عليها، ولذلك ينبغي علينا أن نهتم بتصحيح النِّيَّات، وأن نستحضر النِّيَّة عند كلِّ تصرّف جميل، فجلوسك مع الضيف والبشاشة معه عبادة تؤجر بها عند الله عزَّ وجلَّ، واتّصالك بصديقك لجبر خاطره أو مواساته عبادة تؤجر عليها، وهكذا فلتكن الحياة، يقولون: إِنَّ من يستحضر النِّيَّة الصادقة الخالصة في كلِّ عمل فسوف يصبح عبدًا لله كأنَّه ساجد له طوال الوقت، فلا تجرّد النِّيَّة فقط في مسائل العبادة، بل اجعل الحياة كلّها بمباحاتها عبادة لله، فقط أن تنوي الخير وأن تريده وأن تريد وجه الله -عز وجل-، فتصبح حياتك كلّها لله تعالى، ولذلك قالوا في ترجمة العالم الكبير الإمام حمّاد بن سلمة: كان وقته كلّهُ

لله، حتّى جلوسه مع أصحابه وزياراته، كان يستحضر
النّية ويوجهها لطاعة الله -عزّ وجلّ- وعبوديته جلّ
في علاه، والذي يظن أنّ العبودية لله فقط في الصلاة
والزكاة والصيام والحج انتقص مفهوم الإسلام عنده؛
لأنّ الحياة كلّها لله -عزّ وجلّ-، أوّلها وآخرها، فاحرص
على استحضار نيّتك في كلّ تصرّف تجمع لك الحسنات.



حمامة مسجد

من الكلمات التي يتداولها العامة عن الرجل الذي يلزم المسجد خمس مرّات في اليوم والليّلة، ويحرص على الروضة خلف الإمام أن يسموه (حمامة مسجد)، وقد رأيت في حياتي صنفاً من هؤلاء يواظبون على الصلاة في المسجد، بل إن بعضهم لا يؤذّن إلّا وهو في المسجد، وعرفت في حيّ من الرياض رجل أعمال فتح الله عليه حتّى في التجارة والمال، ومع ذلك لا يؤذّن المؤذّن إلّا وهو حاضر في لباسه الطيّب وعطره وسواكه وهو ينتظر الأذان في المسجد، وأنا أقول: إنّ هذه الطريقة هي مفتاح الخير في الدنيا والآخرة؛ لأنّ الله يقول: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَقِبَةُ لِلنَّافِلَى﴾ [سورة طه: ١٣٢].

إذن الرزق موقوف حتّى مع الصلاة، وأقصد الرزق المبارك الهنيء الحلال، لأنّك قد تقول: إنّ بعضهم يرزق وهو مرتكب المحرّمات ويترك الصلوات، قلت: هذا

رزق محرم خبيث لا بركة فيه، وسوف يدفع ثمنه في الدنيا
والآخرة من أجله وصحته واستقراره وهدوئه.

فقصدي هنا أن المسجد هو البوابة الكبرى لكل
الخيرات، فاحرص على الصلوات، فسوف تأتيك بعدها
الفتوحات، قال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا
لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [سورة البقرة: ٤٥].



منبّهات

هناك أشياء تنبّهك إلى عمل الخير والاستعداد للآخرة وقد فعلها بعض الصالحين، مثل أن يكون لك مصحف كبير في نقالة (حمالة المصحف) إذا صليت تفتح المصحف وتقرأ منه في صلاة الضحى أو صلاة الليل، المسبحة بيدك تذكرك التسبيح، لوحة استغفار في جدارك أو دعاء أو آية، وأنت جرب بنفسك أن تضع آية الكرسي في مكان بارز في البيت، وكذلك سورة الإخلاص والمعوذات؛ فستجد نفسك أنك تقرأها كثيرًا دون قصد، فهذه التنبّهات لا بدّ منها، فهي مثل إشارات المرور في الطريق العام تنبّه السائق أين يتّجه، أين يذهب، متى يقف، متى يتحرّك، والآخرة تحتاج إلى منبّهات على هذه الطريقة؛ لأنّ الحياة أصلًا تغمرك بأحداثها ووسائلها، وتنسيك وتلهيك وتشغلك، بل من الناس من كثرة انغماسه في الدنيا ينسى حتّى أوقات الصلوات المفروضة، فلا يذكرها لكثرة لهوه ولعبه وغروره.



الترقيع بالاستغفار

دينك مثل ثوبك يتمزق أحياناً بالذنوب والخطايا، ويحتاج إلى ترقيع مثلما ترقع ثوبك بالمخيطة، وترقيع الدين يكون بالاستغفار، وما وجدت حلاً لنا إلا أن نستغفر دائماً وأبداً، ولهذا ضمن الله مع الاستغفار الرزق الحلال، والذرية الصالحة، والمتاع الحسن والغيث، وسائر أنواع الخيرات، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [سورة نوح: ١٠-١٣]، فلا تغفل عن الاستغفار، وتصور قوله ﷺ فيما صحَّ عنه: «من قال: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفرت ذنوبه وإن كان فاراً من الزحف»، وقوله ﷺ: «من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل همّ فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب»، وأنا جربت الاستغفار كيف يجلو الهم عن القلب، وكيف يعيد للنفس سكينتها وراحتها واطمئنانها، حتى يقول بعض

العلماء: (إنَّ الاستغفار ينقلك من السيئة إلى الحسنة،
ومن التقصير إلى الكمال، ومن الضعف إلى القوة، ومن
الهم إلى السرور، ومن الشقاوة إلى السعادة). فداوم على
الاستغفار دائماً وأبداً، ولا تغفل عنه فإنه يرقع ثوب
دينك الذي مزقته الخطايا.



اشتر نفسك

يقول تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٢٠٧) [سورة البقرة: ٢٠٧].

شراء النفس من الله أن تقدّم عملاً ينقذ نفسك من غضب الله، وتنال به رحمة الله وجنته، وقد قام كثير من السلف بالمبايعة مع الله فشروا أنفسهم من الله مقابل جنة عرضها السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [سورة التوبة: ١١١]، فهو بيع وشراء، ولذلك يقول أحد الفضلاء: هذا سبق أتى من عند الله، أتى به جبريل إلى محمد مكتوب فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [سورة التوبة: ١١١]، الشاري الله - عز وجل -، والبائع هم المؤمنون، والسلعة هي الجنة، والشاهد محمد ﷺ، والذي أتى بالعقد جبريل عليه السلام، وتمت البيعة في مجلس العقد، وانفض المجلس على هذه البيعة، «والبيعان بالخيار ما لم يتفرقا»، فإذا تفرقا فقد وجب البيع، جرب أن تبيع نفسك من ربك، وتشتري

جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، كَمَا قَالَتْ آسِيَا:
﴿رَبِّ أَبْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [سورة التحريم: ١١]، أما
علي بن الحسين زين العابدين ؑ فقالوا: اشترى نفسه من
الله أربع مرّات، أي: دفع ديته أربع مرّات في سبيل الله
على الفقراء، والمساكين، والأيتام، فقرّة عين له!.



قدّمها أمامه

ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره في سورة الصافات: أن رجلين من بني إسرائيل مؤمن وكافر كان بينهما مزرعة، فباعاها بستة آلاف دينار، فنال كلّ واحد منهما ثلاثة آلاف دينار، أمّا الكافر فاشتري بألف دينار دارًا فسمع المؤمن، فقال: يا ربّ، اللهمّ إنّه اشترى بألف دينار دارًا في الدنيا، وإنّي أشترى بها دارًا في الجنّة فتصدّق بها، ثمّ سمع أنّ شريكه الكافر تزوّج بألف دينار، فقال المؤمن: يا ربّ، إنّي سمعت أنّه تزوّج بألف دينار وإنّي أتصدّق بهذه مهرًا لحروريّة في الجنّة فتصدّق بها، ثمّ سمع أنّ شريكه الكافر اشترى مزرعة بألف دينار، فقال: يا ربّ، سمعت أنّ شريكي اشترى مزرعة بألف دينار، اللهمّ إنّي أشترى بها حديقة في الجنّة فتصدّق بها، فأوحى الله إلى نبي زمانها بما حصل منهما وصار بينهما من الحوار في سورة الصافات لما مات وشاهد كلّ منهما مقعد صاحبه، هذا في الجنّة وذاك في النار، وأنت إذا نويت النية الطيبة، وقدّمت ما عندك لتحجز مقعدًا في الجنّة، أو تشتري دارًا، أو قصرًا؛ فسيحقق الله لك ذلك.

ربح البيع

من خطط لآخرته وعرف الطريق إلى الجنة الصحابي
الجليل عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المبشرين بالجنة
ﷺ، فإنه كان تاجرًا كبيرًا بل من تجّار العالم في عهده،
وفدت قافلة له من الشام، ألف جمل مع كلّ جمل غلام،
محمّلة بالأرزاق قاصدة مدينة الرسول ﷺ، ووصل
أول جمل منها إلى السوق والقاطرة الطويلة على مسافة
أميال وافدة من طريق الشام، فخرج تجّار المدينة كلّهم
للمساومة والمزايدة على القافلة، فقال لهم عبد الرحمن
ابن عوف: بكم تشترون القافلة؟ قال التجّار: نعطيك
في الدرهم درهمًا يعني ضعفًا، قال: وجدت من زادني،
قالوا: نعطيك في الدرهم درهمن، قال: وجدت من
زادني، قالوا: نحن تجّار المدينة وما زادك أحد، قال: أمّا
أنا فقد وجدت ربّي قد زادني في الدرهم عشرة أضعاف
إلى سبعمئة ضعف إلى أضعاف كثيرة، أشهدكم أنّها
بجملها وأرزاقها وأحلاسها وأقتابها في سبيل الله في
الأيّام، والفقراء، والمساكين، فأنفقها على فقراء الحجاز،

وأيتام الحجاز، وفقراء الحجاز في المدينة وضواحيها
وقراها وبواديها، ورجع فقط بعصاه إلى بيته، ربح البيع
أيها الصحابي الجليل رضي الله عنك وأرضاك، وأسقاك
من حوض نبيك ﷺ.

هكذا فلتكن العظمة، والريادة، والآن انتهت
الدنيا، وانقضى أهلها، وذهب قرن بعد قرن، ولكن
عبد الرحمن بن عوف حجز مقعده في جنّات النعيم.



ما عندهم خبر عن الآخرة

زرت عشرات المدن في أمريكا وأوروبا وشرق آسيا، ورأيت النصارى، واليهود، والبوذيين، والهندوس والسيخ، وكنت مع بعض زملائي في إلقاء بعض المحاضرات فوجدت في الطرقات من يشربون الخمر، ويلبسون الحرير والذهب، سكارى، فيقول أحد المشايخ معلقًا: (هؤلاء ما عندهم خبر عن الآخرة)، وهذا هو الصحيح، فهم في غفلة وكأّنه ما نزلت كتب، ولا أرسل رسل، ولا هناك جنّة، ولا هناك نار، وأنّ الحياة فقط هي الدنيا، فالله المستعان!

أي مصيبة أعظم من مصيبة ألا تفكر في الآخرة، وأن تنسى القدوم على الله، وأن تهمل مسألة الجنّة والنار والتفكر فيهما، هذه من أعظم الكوارث التي تمرّ بالإنسان؛ لأنّه سوف يهدم حياته وآخرته إذا نسي ذلك.



الفائز الأول

الفائز الأول في أمة محمد ﷺ هو أبو بكر الصديق، فهو أول من أسلم، وأول من هاجر مع النبي ﷺ، وأول من جاهد، وأول من بذل، وأول من أعطى، وأول من تولّى الخلافة، وهو الصديق الأكبر، وهو الذي كان مع النبي ﷺ في الغار، وفي الهجرة، وفي كلّ موقف صعب، وهو رجل الأزمات، ورجل المواقف المشرفة ﴿١﴾ وأرضاه، حتّى إنّ لا يحصل موقف مسابقة إلّا كان الأول في الصلاة والإنفاق والجهاد، والهجرة، والتضحية والبذل، وصحّ أنّ النبي ﷺ سأل الصحابة: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﴿٢﴾: «أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﴿٣﴾: «أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﴿٤﴾: «أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﴿٥﴾: «أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا اجْتَمَعَنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ» (١).

وصحّ عنه ﷺ أنّه قال: «إِنَّ لِلْجَنَّةِ أَبْوَابًا ثَمَانِيَةَ، فَمَنْ

(١) رواه مسلم.

كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الصيام، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد»، إلى آخر تلك الأبواب، قال أبو بكر: هل يُدعى أحدٌ يا رسول الله من تلك الأبواب جميعاً؟ قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم».

يا لهذه النفس الطموحة العظيمة الكبيرة الطاهرة، نفس أبي بكر الصديق الذي استحق هذا الوسام والتاج على رأسه على مر التاريخ؛ وذلك لهُمته وسابقيته، ولذلك عيّنه الرسول ﷺ إماماً للصلاة بعده، ثم اختاره المسلمون بالإجماع خليفة للأَيادي البيضاء، والمقامات العالية، والإنجازات المذهلة التي حقّقها في حياة النبي ﷺ، وبعد وفاته ﷺ، رضي الله عنه وأرضاه، وأسعدنا بليقائه، وجمعنا به وبرسول الهدى ﷺ في الفردوس الأعلى.



إعمار الدنيا

لا يعني التخطيط للآخرة نسيان الدنيا، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [سورة القصص: ٧٧]، وأنا وجدت من يهتم للآخرة ويعدّ لها، ويعمر دنياه، ورأيت من غفل عن الآخرة غفل عن التعمير الصحيح، والبناء الصادق للدنيا، ولهذا رسولنا ﷺ أزهّد عباد الله، وأتقاهم، وأنقاهم، عمّر دنياه وأخراه، فإنه ﷺ بنى الدولة الإسلامية، ووزّع الأموال على الناس، وعلمهم، وهداهم، وزكّاهم، وقاد الجيوش، وبنى المساجد، وأمر بإعمار الدنيا وإصلاحها، وإصلاح البيئة، واحترام الطريق العام، وغيرها من مشاريع الدنيا، فلا يفهم أحد أنّ الاستعداد للآخرة معناه أن تترك دنياك، وتهجر أهلّك، ولا تعمر هذه الدنيا، ولا تسعى في إصلاحها واستثمارها، هذا ليس بصحيح أبداً، لكن مقصدي أن نعمر ديننا ودنيانا؛ لأنّ هذا مشروع الإسلام المتكامل، ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ﴿٢٠١﴾

[سورة البقرة: ٢٠١]، فالحيا والمات لله، والدنيا والآخرة لله، وهذا هو الجميل في رسالة النبي ﷺ؛ لأنها مشرقة ورائعة من كل جانب.



بكاء وعمل

لاحظت أن كثيرًا من الناس إذا حضرت الجنائز وذكر الأموات والمقابر بكوا كثيرًا، وهذا يحمد صاحبه إذا كان هذا البكاء يقوده إلى التوبة والاستغفار والعودة إلى الله، لكن بعضهم يبكي بكاءً سلبياً، فتجده عند موت حبيبه وقريبه ينهدّ باكياً وجازعاً، ثم يعود إلى سيرته الأولى؛ من الإخلال بالصلاة، وهجر القرآن، وترك التوبة، والاستمرار في ارتكاب الذنوب والخطايا، فأين أثر هذا البكاء الذي حصل له في وقت المصيبة والصدمة الأولى؟!

إن مظاهر الجزع والتسخط لا تدل دائماً على التقوى؛ لأن البكاء هو مشترك فقد يبكي المسلم والكافر، ولكن العبرة بالعمل، وتحديد التوبة، والتزود للآخرة، والاستفادة من الموعظة، وأخذ العبرة من الموت، وتلقي الدروس مما نشاهد من الجنائز والمقابر، هذا هو الأمر المحبذ المقصود المحبوب، وفقنا الله لما يحبه ويرضاه.



الوقت دار أو عمار

لاحظت في حياتي أن ساعة واحدة قد أوفَّق فيها إلى عمل صالح وخير واستثمار في حسنات وفعل الصالحات، وساعة أخرى قد تذهب عليَّ سدى خاصة إذا لقيت أحد الفارغين المعروفين بكثرة الحكايا والسواليف، وقد مرت بي هذه التجارب في الطائرة، فأجدني إذا كنت وحدي أقبلت على التلاوة والتسبيح والقراءة والمطالعة، واستفدت طيلة الرحلة من وقتي، فإذا جلس بجانبني أحد الناس خاصة من المعارف، والذين أضطر إلى المجاملة معهم، وجبر الخواطر، فيدخلني في حياته في قصص لا ناقة لي فيها ولا جمل، فيخبرني بشركته ومؤسسته وأبنائه، وكلما حاولت أن أشرد بذهني قال: انتبه! أنت معي! ويواصل الحديث، صدقوني لا بد أن أنصت؛ لأنه صار جليسا لي حتى تهبط الطائرة، وقد ذهب وقتي كله سدى وفي كلام فارغ سامج باهت.

لذلك علينا أن نعد العدة لمثل هذه المواقف؛ كأن نصل في الحديث إلى قضية مفيدة، وإلى حوار بناء، أو تفسير آية أو حديث أو سيرة أو نحو ذلك؛ حتى لا نقع في مطب ضياع الوقت؛ لأنه مصيبة من أعظم المصائب.

أنت في روضة

إذا دخلت المسجد فلا تستعجل في الخروج؛ لأنك منذ أن تدخل كما في الحديث الصحيح؛ الملائكة تقول: «اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، اللهم تب عليه»، وإذا بادرت بالحضور إلى الصلاة كان أفضل وأفضل، وإذا سلم الإمام فلا تستعجل، أتحرم نفسك ذكرًا في دقيقتين يحصل منها أن يغفر لك ما تقدّم من ذنبك؟ فقد صح عنه عليه السلام أنه قال: «من قال في دبر كل صلاة سبحان الله (۳۳)، والحمد لله (۳۳)، والله أكبر (۳۳)»، وقال تمام الـ (۱۰۰): «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غفر له ما تقدم من ذنبه»، وهذا أجر عظيم، ثم إنك في المسجد تجد من السكينة والراحة والطمأنينة، وتلقي عنك هموم الدنيا، وتجدد نشاطك، وينشرح صدرك، ويطمئن قلبك، فلماذا العجلة؟! فقد لاحظت أن كثيرًا من الناس يدخلون متأخرين بعد إقامة الصلاة، فإذا سلم الإمام تراحموا وتسابقوا على الأبواب كأنهم يطردون طردًا، ما هذه العجلة؟ أما كفانا أن أعطينا الدنيا ثلاثًا وعشرين ساعة

ووزعنا ساعة واحدة على الصلوات الخمس أو أقل؟
ينبغي أن تعرف أن آمن مكان لك، وأطيب محل لك، هو
المسجد، وهو روضة من رياض الجنة.



ابن تسعين سنة

وصلت إلى الحرم المكي بعد سفر طويل لأداء
العمرة، وبعد أداء العمرة مع مشقة الطواف والسعي
أتينا لصلاة القيام في رمضان بعد صلاة العشاء، فحصل
شيء من الكسل والخمول بعد التعب، لكنني نظرت إلى
شيخ كبير في التسعين من عمره قائم في الصف يهتز
ويرتعد من الشيخوخة ومع ذلك يواصل، فأخذتني
الغيرة والحمية وقلت: هذا وهو في هذا السن يصلي
ويواصل؛ فكيف بي أنا؟

ولذلك المسألة مسألة قلب وعزيمة وإرادة، انظر
إلى كثير من الشباب الآن لا يحرصون على الصلوات في
المسجد، ولا قيام رمضان بحجة التعب والمشقة، وتجد
من بلغ التسعين وأكثر وهو في الصف الأول محافظاً على
الصلوات والقيام والنوافل. نسأل الله همة في الطاعة.



ليس عندنا وقت

أكثر الناس ممن يعتذر عن فعل الصالحات والعبادة وكثرة تلاوة القرآن وذكر الله والمحافظة على الأوراد والتسبيح والدعاء؛ يعتذرون بحجة أنه ليس لديهم وقت كاف، ولديهم أشغال وأعمال، والحقيقة أن كلامهم فارغ وتافه، ولو فتشت وراءهم لوجدت عندهم ساعات طويلة في يومهم وليلهم، فهم يمرحون ويسرحون ويمزحون ويضحكون ويلهون ويلعبون ويلغون، ولكن إذا جاء الجد وعمل الخير وفعل الصالحات تعذّروا بالأعذار، والله يقول عن هذا الصنف: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ [سورة التوبة: ٤٦].

من يريد الخير سيجد وقتاً، والحمد لله نعمة الوقت متحصلة، بل إن كثيراً من الصالحين والأبرار والأخيار والعلماء والعباد والزهاد أدوا أعمالاً جليلة وإنجازات هائلة، وتوفّر عندهم وقت، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [سورة الفرقان: ٦٢].



التزام واهتمام

الحياة التزام واهتمام، وأنت إذا أخذتها بالجد والمثابرة انقادت لك أيامك ولياليك، وحفظت وقتك واستقامت أمورك، أما إذا أخذتها بالتسويق والفتور والكسل ضاعت منك أمور الدنيا والآخرة.

الحياة التزام بمواعيد مضبوطة، مثل: مواعيد الصلاة، ومواعيد الدوام، ومواعيد اللقاءات والمؤتمرات، ويكون عندك همة لإنجاز هذا الموعد والحضور في وقته، ولهذا تجد من ألزم نفسه بأوقات محددة، مثل حضور الصلوات الخمس، مثل الدوام في دقيقة معينة، مثل النوم في وقت محدد، مثل المطالعة في وقت معروف، مثل الجلوس مع الأهل في وقت معين؛ نجح في حياته ونال راحة البال والاطمئنان والسعادة.

أخبرني كيف تنظم وقتك؟ أخبرك من أنت. أما الإنسان الذي يترك يومه وليله على حسب الطوارئ والمفاجئات، فهذا سوف يضيع أمر الدنيا وأمر الآخرة. الأمر لا يقوم هكذا، لا يقوم بالمصادفات ولا على حسب الظروف، بل يقوم بجدية وبنظام وبحزم وبهمة وبمثابرة، وبعدها تلقى الثمار اليانعة الباهرة.

اترك أثرًا طيبًا

المؤمن حريص على أن يترك أثرًا طيبًا بعده، يصله نفعه بعد الوفاة، مثل: أن يحفظ ابنه وابنته القرآن حتى يكون في ميزان حسناته، أو أن يعلمهم الصلاة حتى إذا دعوا استجيب لهم فيصله ثواب دعائهم، أو أن يترك ولو غرسة يغرستها لتكون في ميزان حسناته، أو أن يوقف برادة ماء في الطريق العام كلما شرب منها أحد دعا له وكان ذلك في ميزان حسناته، أو أن يكفل يتيمًا، أو أن يترك أثرًا طيبًا من درس أو محاضرة أو نفع يصله بعد أن تنقطع أخباره بالموت وينساه الناس. فاحرص على أن يكون لك أثر يبقى بعد موتك يصلك نفعه.



شؤم المعصية

احذر شؤم المعصية فإن لها تبعات وويلات، منها:
غضب الرب سبحانه، وضيق الصدر، وشتات الأمر،
وسواد الوجه، والعذاب في الآخرة، وسوء السمعة،
وتكدُّ المعيشة، وضيق الرزق، وبغض الناس إلى آخر
هذه القائمة من الثمار العقيمة السيئة للمعصية.

وانظر بالمقابل إلى ثمرة الطاعات من رضا الواحد
الديان سبحانه، ومن سعة الصدر، وانسراح النفس،
وطيب خاطر، والصلاح في الحال والمآل والعيال،
وسعة الرزق، وحسن الثناء من الناس، وشهادة العالم
لك، وحسن المنقلب عند الله وما أعدّه الله لك من نعيم
مقيم في جنة الخلد، ومن عرف عاقبة الطاعة وعاقبة
المعصية حرص على الطاعات، وتاب إلى الله من المعاصي
والسيئات، تاب الله علينا جميعًا.



الفراق فجأة

ألتقي بشباب كثير يشكو ضيق الصدر والهموم والغموم، فأسألهم عن الصلاة؟ فيقولون: نترك أحياناً ونصلي أحياناً أخرى، قلت: لا بد من الالتزام بالصلاة والتوبة إلى الله، فيقول بعضهم: ما نزال شباباً، قلت في نفسي: كأن عنده خبراً يقيناً أنه لن يموت إلا بعد أن يكبر، ويشيخ، ويتوب، ويتزود من الصالحات.

الموت يأتي في أي سن، فقد مات ابن سنة وابن سنتين وابن عشر وابن عشرين وابن ثلاثين وأكثر وأقل، فليس هناك موعد محدد للفراق والانتقال من الدنيا إلى الآخرة.

انتظر الموت في أي لحظة، فقد يأتيك وأنت تتحدث مع أهلك، وقد يأتيك وأنت تكتب عن مأساتك، وقد يأتيك وأنت نائم على سريرك، وقد يأتيك وأنت واقف في الطابور تنتظر، فأعد العدة، يعني لا تؤجل التوبة؛ لأنه ليس عندك يقين بالمهلة ولا بالبقاء، فاحذر الحذر، والانتباه الانتباه، المسألة خطيرة، وليست على التمني والتشهي.



صالة الانتظار

يقول الشيخ علي الطنطاوي في أحد برامج التلفزيونية:
نحن في الدنيا مثل الناس في صالة الانتظار في المطار، كل
ينتظر رحلته متى ينادى لها؟ وتجدهم الناس منصتين كل
يتحرى موعد إقلاع طائرته، وهكذا هي الدنيا، نحن
في صالة انتظار، بعضنا فقط يستعجل بأيام أو شهور أو
سنوات، لكن الكل مرتحل، وتجدهم وجهاتنا شتى، وينبغي
أن نكون متهيئين كتهيؤ الناس في صالة الانتظار وقد
حزموا أمتعتهم، ويعلمون علم اليقين أنهم مسافرون
وقد ودّعوا أهلهم، فالمسألة مسألة دقائق أو ساعات
ليغادروا ويرتحلوا، وكذلك هي الحياة، أنت أعد العدة
ولتكن أمورك مهياً وجاهزة؛ لأن الرحلة قد تفاجئك
والموت قد يباغتك، فأنت إن لم تنظّم أمورك وترتب
أشياءك فستؤخذ على حين غرة وأنت في غفلة.



الوقت الضائع

فرعون وهو يغرق في البحر يقول: ﴿ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ [سورة يونس: ٩٠]، وهذه الكلمة قالها في الوقت الضائع فلم تنفعه أبداً؛ لأنه صار خارج اللعبة، وكثير من الناس يترك العمل الصالح والتوبة والتزوّد بالخيرات حتى يبغته الموت، فيقول، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي بُنْتُ أَلَكْنَ﴾ ﴿٩١﴾ [سورة النساء: ١٨]، ويقول تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ ﴿٩٢﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٩٣﴾ [سورة المؤمنون: ٩٩-١٠٠]، يعني كلمة لا تنفع فقط مجرد أنه قالها بلسانه.

هل ينفع أن تتوب الآن وأنت في سكرات الموت؟ هل ينفع أن تراجع حساباتك الآن؟ هل ينفع أن تقدّم خيراً الآن؟ هل ينفع أن تتزوّد بالطاعات الآن؟ بعد ماذا؟! انتهى الأمر، قال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ

مَنْ تَذَكَّرَ ﴿[سورة فاطر: ٣٧] أي: أعطيناكم مهلة وسنوات
وأَيَّامًا وليالي تتدبّرون أموركم، وتراجعون أنفسكم،
وتتوبون من خطاياكم، وتعودون إلى ربّكم، وتستغفرون
مولاكم، وتحملون زادًا طيبًا للآخرة، أمّا بعد أن فات
الأوان يأتي الإنسان عند سكرات الموت يوصي بالأموال
والصدقات، لا، أصلًا هذه الأموال أصبحت للورثة
وليست لك، أنت منتقل مرتحل الآن، فتريد أن تبدّد
التركة والميراث، أنت أصبحت في عالم الآخرة، لست في
عالم الدنيا، انتهى الأمر.



طفّت العالم

أكتب لكم هذا الكلام وقد زرت دولاً في القارات الخمس، زرت ما يقارب مئتي مدينة في هذه الدول، ورأيت الحضارة الغربيّة والشرقيّة، وأبصرت الشركات، والمؤسسات، والمصانع، وناطحات السحاب، والفنادق، والمهرجانات، والوزارات، والعمارات، والمستعمرات، والمدّخرات، والكنوز، والقناطير المقنطرة من كلّ شيء، وعدت بقناعة أنّ أفضل وأجمل وأهدى مقعد أحسّ فيه بالأمان والراحة والإيمان هو الصفّ الأوّل في المسجد والمصحف بيدي، خذوها كلمة ممن عرف وجرب.

لقد تنقلت من شرق الصين من لانجو إلى غرب فرنسا وجنوبها نيس وكان وما حولها، وعبرت إلى دول إفريقيا وإلى كثير من دول آسيا، وولايات أمريكا، وطرت فوق المحيطات والبحار والأنهار من مطلع الشمس إلى مغربها، وعدت بهذه القناعة التي وجدتها في القرآن: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل: ٩٧]، عد إلى ربّك، وافتح مصحفك، وصلّ لمولاك، فكلّ من فوق التراب تراب، والرحلة قريبة.

قسوة القلب

تأتي قسوة القلب من كثرة المعاصي، وتكرار الذنوب بعد الذنوب، وارتكاب المباحات، والانهاك في أعمال الدنيا، وبعضهم لا يستفيق كأنه سكران من اجتماع في اجتماع، ومن عزيمة في عزيمة، ومن مناسبة في مناسبة، ومن فرح إلى فرح، يضحك مع هذا، ويطرب مع ذاك، ويتحدث مع آخر، فهو في دوامة من الملهيّات والمشغلات، وقل لي بالله: متى يستفيق هذا؟ ومتى يتدبّر؟ ومتى يعي؟ ومتى يتجهّز للآخرة؟ هذا هو اللغو، هذا هو الانهاك صراحة، وهذا هو الإدمان في حبّ الدنيا حتّى يصبح الإنسان مدهولاً مدهوشاً حائرًا، يفجعه الموت ولم يستعد، ولم يتب، ولم يأخذ الحيلة.



دنو الشمس

ما شعورك وأنت قائم في شدّة الحرّ وسط الظهيرة،
والجو يغلي، والسماء تلتهب، والشمس ترسل إشعاعها،
وعرقك يتصبّب، والسموم تكاد تقطّع وجهك، وحرارة
الأرض تكاد تمزّق أقدامك، وتشعر بالظمأ الشديد،
وكبدك تكاد تتفطّر؟ تريد قطرة ماء، جفّت شفتاك،
وضمّر جسمك، واشتعل صدرك حرارة وضيقًا، هذا
في الدنيا، لكن قل لي بالله في مشهد يوم القيامة إذا دنت
الشمس حتّى تصبح قدر ميل فقط من رأسك، وغاص
الناس في عرقهم، منهم من يبلغ عرقه قدميه، ومنهم من
يلبلغ عرقه ركبتيه، ومنهم من يبلغ حَقْوَيْهِ، ومنهم من
يلجمه العرق إجمالًا: ما المخرج؟

المخرج أن تكون أحد هؤلاء السبعة الذين قال عنهم
ﷺ فيما صحّ عنه: «سبعة يظلّهم الله في ظلّه»^(١).



(١) متفق عليه.

كن كالنملة

المسلم العاقل يفعل فعل النملة، فإنّها تجمع في الصيف الحبوب وتجعلها في المخزن في بيتها، ولا تأكل منه شيئاً في الصيف؛ لأنّها تعلم أنّه إذا حلّ الشتاء وهطلت الأمطار لم تستطع الخروج من بيتها، فتعود إلى ما كنزته وخزنته، وكذلك المسلم يستعدّ بعمل صالح يقدمه أمامه يوم الفقر الأكبر عند الله، فيقدم على الله، وإذا عنده أعمال هناك، وخزينة من الصالحات والطاعات، والقربات، والنوافل، والصدقات فيفرح ويسعد ويبتهج.



في الشهر (٣٠٠٠) نخلة

صحّ عنه عليه السلام أنّه قال: «من قال: سبحان الله وبحمده؛
غُرست له نخلة في الجنة»، وأنت لو قلتها في اليوم مئة
مرة في وقت قليل لغرس لك في الشهر (٣٠٠٠) نخلة،
وهذا العمل السهل الميسّر قليل من ينتبه إليه، وقد أخبرنا
الصادق المصدوق عليه السلام بهذا، ونقله لنا، وبشرنا
به، فهل من مثابر؟ فقط خصّص دقيقة في اليوم لسبحان
الله وبحمده، مع العلم أنّه صحّ عنه عليه السلام أنّه قال: «من
قال سبحان الله وبحمده في يوم مئة مرة غفرت ذنوبه وإن
كانت كزبد البحر»، وهذا أجر آخر أعظم وأشهر.



تفقه كل يوم

من البصيرة ونور القلب أن تتفقه في أحكام دينك كل يوم، تقرأ في العقيدة، وتقرأ في التوحيد، وتقرأ في الحديث النبوي، وتقرأ في السيرة؛ حتى تكتشف الدين، حتى تعبد الله على بصيرة، تعرف التوحيد من الشرك، والطاعة من المعصية، والسنة من البدعة، هل من المعقول أن تعرف أدوات السيارة بالتفصيل، وأدوات كل آلة، وتعرف تفاصيل التفاصيل في الحياة وتجهل دينك؟! ولذلك يقول ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»، لا بد أن يكون وقت محدد لك في اليوم ولو دقائق تكتشف دينك الذي تحمله، دينك الذي يدخلك الجنة، دينك الذي ينجيك من النار، دينك الذي يسعدك عند الله.



كل يوم قصر

صحح الألباني حديث رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصرًا في الجنة»، وهي تستغرق دقيقة واحدة فقط، لكن لعظم السورة، وعظم ثوابها، وكرم الباري -عز وجل-، وسعة رحمته أكرم عبده الذي قرأها حبًا، وفيها الشاء عليه سبحانه، وفيها تمجيده، لأنها ثلث القرآن، وهي سبب لحب الله لك، وسبب لدخول الجنة فيكرم الله من قرأها عشر مرّات بيت في الجنة، فقل لي بالله: من كرّر قراءتها ولو قرأها في اليوم مئة مرّة في عشر دقائق يكون له عشرة قصور، ونحن آمنّا وصدّقنا بما ورد عن نبينا ﷺ، ففضل الله واسع، وكرمه لا يُحدّ جلّ في علاه.



حتى في سكرات الموت

ذكر الشيخ عبد الفتّاح أبو غدة في كتابه (صفحات من صبر العلماء) أنّ أبا الريحان البيرونيّ ومحمد بن يوسف الإمام الحنفيّ كانا في سكرات الموت ويتدارسان العلم، فقليل لهما: في سكرات الموت تبحثان في العلم؟ قالوا: نعم، لأنّ نلقى الله بمسألة نعلمها خير من أن نلقاه ونحن نجهلها، والعلم من زاد الآخرة، فأخذوا يتدارسان العلم إلى أن فاضت روحاهما - رحمهما الله رحمة واسعة - وهكذا فلتكن الهمم من المحبرة إلى المقبرة، قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ ﴿١١﴾ [سورة الحجر: ٩٩].

واصل المسير، واصل العطاء حتّى في سكرات الموت، وفي سكرات الموت أفضل عمل: أشهد أنّ لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله.



موت الفجأة

يكثُر في آخر الزمان موت الفجأة كما أخبر ﷺ بقوله: «موت الفجأة أخذة أسف»^(١)، ولذلك كثير من الناس الآن لا ينتبهون لهذا، ولم يستعدوا له، وليس عند الواحد منهم فكرة في أن يتوب، أو يراجع ربّه، أو يستغفر، أو يكتب وصيّته، أو يتزوّد بالصالحات، فيؤخذ على غرّة، ويُهجم عليه فجأة، وهو في حال كسيف وبئس من المعاصي والذنوب وأكل الحرام.

نسأل الله العافية والسلامة، الانتباه الانتباه موتُ الفجأة نذير خطر لكلّ غافل.



(١) رواه أبو داود، وصحّحه الألباني.

الموت يهون كل شيء

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: إذا ذكرت الموتى فعد نفسك كأحدهم، وقال كعب رضي الله عنه: من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها، وقال يحيى بن معاذ: لا يكره لقاء الموت إلا مريب، فهو الذي يقرب الحبيب من الحبيب، وقال بعضهم: من جعل الموت نصب عينيه زهد في الدنيا.

والحقيقة أنك إذا عشت فكرة الموت وتصورته، وتذكرت رحيلك، وأنتك سوف تغسل بين يدي أهلك وقرابتك، وتلبس هذا الكفن، وتحمل على أكتاف الرجال، وتدنس في التراب هانت عليك الدنيا بما فيها من مباحج، ومناصب، وأموال، وقصور، وحنائق، وبساتين، صارت تافهة جدًّا؛ لأنّ الذين ملكوها ارتحلوا عنها أصلاً، ارتحل خلفاء، وملوك، وعلماء، وسلاطين، وجبابرة، وأكاسرة، وقياصرة، فمن تكون أنت بالنسبة لهم؟!.



خطة إستراتيجية

الناس في حياتهم خاصّة أهل المشاريع، والمؤسسات، والشركات لا يدؤون بها إلّا بعد تكامل الخطّة الإستراتيجية لأيّ مشروع، فتجد الواحد منهم يستمرّ في عمله خطوة خطوة على رؤية سابقة مخطّط لها ومدروسة تمامًا، ولكن المشكلة عند الكثير من البشر أنّه لا يخطّط للآخرة مع العلم أنّها هي المقصودة، وهي الأعظم والأهمّ، حتّى يقول تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [سورة القصص: ٧٧] فجعلها -عز وجل- هي الأصل وهي المقصودة والدنيا تبعًا لها، لكن نحن جعلنا الدنيا والسعي لها هي الأصل، وجعلنا الآخرة تبعًا لها، وإذا قرأت الشريعة الإسلامية تجد أنّ هناك خطّة يومية في الصلوات الخمس، وخطّة أسبوعية في صلاة الجمعة وأعمال يوم الجمعة، ومشروع سنويّ وهو صيام رمضان، وخطّة للزكاة سنوية لمن عنده مال، والحجّ في

العمر مرّة للمستطيع، فلم نُترك عبثاً، ولم نُخلق سدىً،
نحن رُتّبَت أمورنا في الشريعة الإسلاميّة، لكن المشكلة
فيمن لم يفقه هذه الشريعة ولم يفهمها، ويمشّي حياته على
عمى، فهو جيّد ذكي في أمور الدنيا، ولكنه غبي مفلس
غافل في أمور الآخرة، فنسأل الله الرشd والسداد.



أبواب الجنة

أبواب الجنة ثمانية بحسب عمل العامل، وأحياناً يُفتح على الإنسان في عمل لم يُفتح عليه في عمل آخر، بعضهم يُفتح عليه في نوافل الصلاة فتجده دائماً مصلياً ساجداً متبتلاً، وبعضهم فُتح عليه في الصيام فغالب وقته في صيام النوافل الاثنين والخميس، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وأيام المواسم، وبعضهم يصوم يوماً ويفطر يوماً، وبعضهم فُتح عليه في الصدقة والبذل فتجده منفقاً كريماً يكفل الأيتام، ويطعم الجائعين، ويعطي المساكين، ويهب للفقراء والمحتاجين، وبعضهم فُتح عليه في الذكر والتسبيح فلا يفتر لسانه من ذكر الله قائماً وقاعداً وعلى جنبه، قد ملأ وقته كله تقديساً وتسبيحاً، والبعض فُتح عليه في بذل العلم وتعليم الناس فتجده يفتي، ويدرس، ويعلم ويحاضر إلى آخر تلك الأبواب، المقصود أن تتخذ لك عملاً، وتسأل نفسك: ما الذي يُفتح عليك فيه، وتجد نفسك فيه، وترتاح له؟ فاسلكه وأكثر منه حتى يكون لك سبب إلى دخول الجنة من أحد أبوابها الثمانية؛ لأنّ الأبواب الثمانية على حسب الأعمال والتخصّصات.



رضي الله عن الصحابة

من يتأمل حياة الصحابة -رضوان الله عليهم- يجد أنهم اجتمعوا في حدّ أدنى وهو أداء الفرائض، ثمّ تميّز كلّ منهم في مجاله، فتجد أبا بكر الصديق أكثرهم مجالاً في الإيثار، والهجرة، والجهاد، والبذل، والعطاء، والعدل، والعبادة، وتجد عمر بن الخطاب امتاز بالعدل والحزم في الأمور، وعثمان بن عفان في البذل والحياء، وعليّ ابن أبي طالب في الشجاعة والقضاء، ومعاذ بن جبل في علم الحلال والحرام، وزيد بن ثابت في علم الفرائض، وعبد الله بن عباس في علم التفسير، وخالد بن الوليد في الجهاد، وحسان بن ثابت في الشعر الإسلاميّ المدافع عن الملة، وهكذا ينبغي علينا أن ندرس أنفسنا، وننظر أيّ مجال يمكن أن نقدّمه لديننا حتّى نلقى الله تعالى وقد أدّينا أمانة ما أعطانا من مواهب، كلّ في تخصّصه وكلّ في حقله، كما قال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ﴾ [سورة الأعراف: ١٦٠].



الخير عادة

المسألة مسألة تعود على الخير، ثمّ يسهل الأمر أمامك، ثمّ يصبح جزءاً من طبيعتك، أنا رأيت أشخاصاً في حياتي اعتادوا على أمور من الخير فأصبحوا لا يتركونها ولا ينسونها، وأصبحت كشرب الماء الزلال العذب عندهم، المؤذن في مسجدنا يختم القرآن كلّ ثلاثة أيام؛ لأنّه يأتي قبل الأذان، ويقرأ بعد الصلاة، في اليوم يقرأ عشرة أجزاء وكأنّه نسيم الهواء عنده، ويشعر بسعادة وبطمأنينة وبخير، وما زوّدت عليكم، أعرف صديقاً لي من أربع سنوات يقول: «لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كلّ شيء قدير» كلّ يوم ألف مرّة، وعنده آلة حاسبة في يده لا يتركها، ويشغل بالمشي، أحياناً يمشي في اليوم ما يقارب الساعتين، ويقول كلمة التوحيد العظيمة هذه ألف مرّة، أصبحت سهلة عنده.

يا أحبّتي المسألة مسألة تعود، وإذا انطلقت في مشروع الخير فسوف يسهله الله لك؛ لأنّ الله وعدنا بذلك، قال:

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾﴾ [سورة الليل: ٥-٧]، سوف يسهل الله لك الأمر، المقصود ابدأ بخطوة كما يقولون في المثل: (طريق الألف ميل يبدأ بخطوة)، وسوف يعينك الله ويسدّدك، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة العنكبوت: ٦٩].



لا تنسَ نفسك

أعرف تجارًا كبارًا وأثرياء مشهورين تركوا أموالًا طائلة لأسرهم وأبنائهم وبناتهم، وبنوا لهم عمارات وشققًا مفروشة ودورًا وقصورًا، ولكنّ الكثير منهم نسي نفسه في الآخرة، المهم عنده أن يؤمّن مستقبل العائلة والأسرة، ولكنّه نسي أن يؤمّن مستقبله في الدار الآخرة التي سوف يبقى فيها أبد الأبد، خلود إمّا نعيم، وإمّا جحيم.

فمتى نعيد تفكيرنا للأُمور؟ متى نصحّح مسيرتنا؟
متى نكتشف أخطاءنا المصيريّة؟

لقد ملأنا الدنيا من السكن الفخم والمشتريات والمقتنيات، ولن نمكث هنا إلّا فترة لا تعدّ في ميزان النسب والحسابات، ولا ذرّة من كتلة الأرض، ولا قطرة من المحيط بالنسبة للآخرة، ومع ذلك نغفل عن الآخرة دار المقر، ألهمنا الله وإياكم رشدنا.



الأوقات الذهبية

احرص على الأوقات الذهبية التي ورد في فضلها آيات وأحاديث، كيوم الجمعة وآخر ساعة منه قبل الغروب، وبين الأذان والإقامة، وفي الثلث الأخير من الليل، وفي شهر رمضان، وأدبار الصلوات دعاء وحضورًا وإخلاصًا، فإن هذه الأوقات ذهبية مميزة، وهي فرصة غنية لمن قصد بها وجه الله عز وجل، فلا تفوتك، وأنت إذا تعودت الخير أعانك الله، حتى إنني أعرف الآن أشخاصًا قبل غروب مساء الجمعة بساعة يغلقون جوالاتهم ويبقون في ذكر ودعاء حتى الغروب، وصار عندهم عادة لا يُحَلُّون بها، ومن تعود الخير اعتاده، وأعطاه الله إمداده وحقق إسعاده، فاحرص على الغنائم لا تفوتك، واسع في تحصيل الكنوز التي تُدَّخر لك عند الله.



أسئلة السلف

ورد في كتب الأخبار والتاريخ والسير أن السلف إذا اجتمعوا يسألون بعضهم بعضاً: كم قرأت اليوم من القرآن؟ كم وردك؟ وليس هذا من الرياء والسمعة، لكنهم ينشطون بعضهم بعضاً، ثم تغير الحال وأصبحت أسئلة الناس: كم بنيت؟ وكم اشتريت؟ وماذا بعث؟ ومتى سافرت؟ وكم رصيدك في البنك؟ إلى غير ذلك، ولهذا حفظت لنا كتب السلف أخبار السابقين من الصالحين، حيث أوردت أن من هؤلاء من يقرأ ثلاثة أجزاء في الليل، ومنهم من كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ومنهم كأبي هريرة من كان يسبح (١٢٠٠٠) تسبيحة في اليوم، ومنهم من كان يختم في الشهر خمس ختمات إلى آخر القائمة من الإنجازات والأرقام.

فانظر إلى مجالسهم وإلى مجالسنا؛ لأنك حينما تسأل صديقك عن إنجازاته في الطاعات والعبادات ينشط ويبادر، وهذا نوع من الحث على فعل الخير والتواصي بالمعروف.



حصن المسلم

أعيد وأكرر؛ ينبغي أن نحرص على أعمال اليوم والليلة في الأدعية والأذكار، ومن أفضل من جمعها صاحب (حصن المسلم) الشيخ سعيد بن وهف القحطاني، لأنه في كل مناسبة عبودية، فعند لبس الثوب دعاء خاص تأتي به، وعند البدء بالطعام والرفع منه، وعند دخول المنزل، ودخول المسجد والخروج منه، وأدعية الأذان وركوب السيارة، ودعاء السفر، وأدعية النوم والاستيقاظ وغيرها كثير، فإذا حرصت عليها وحفظتها حصدت آلاف الحسنات، وحفظك الله وتولاك وزادك من فضله، ووجدت الانشراح والخيرات تزدحم عند بابك، وأحاطك الله برعايته وولايته؛ لأنك اتبعت نبيه المعصوم ﷺ واقتديت به وسلكت سنته، فاحرص على أذكار المناسبات فإنها فرصة عظيمة لك لتحصد الخيرات والبركات والفتوحات.



أفضل كلمة

قرأت اليوم رسالة كاملة بعنوان: (أربعون حديثاً في فضل لا إله إلا الله) بشروحها، وهناك رسائل أخرى عن هذه الكلمة، وقد دُهِشْتُ من عظم أجر هذه الكلمة إلى درجة أن النبي ﷺ يروي عن ربه أنه قال: «قال موسى ﷺ: يا رب، علّمني شيئاً أذكرك وأدعوك به، قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله، قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا، قال: يا موسى، لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله»، وإذا هي أفضل الأذكار وأعظم الحسنات، وفيها من الأجور العظيمة التي لا تدور بالخير ولا تخطر بالبال، فكأنني استيقظت من نوم وقلت: أين حالنا من هذه الكلمة اللطيفة الشريفة الخفيفة التي تردد على طرف لساننا ولا تأخذ منا جهداً ولا مشقة، وفيها سر السعادة، وهي مفتاح كنوز السماوات والأرض، وفيها النجاة من النار والسعادة بجنت النعيم، والعق من غضب الله ومن عذابه، والفوز بالفلاح والنجاح، وإدراك المأمول مع ما



يعقب ذلك من طيب النفس وانشرح الخاطر؟ فسبحان
ربي ما أكثر غفلة الناس عن كلمة لا إله إلا الله! فقط
هذه الجملة (لا إله إلا الله) سر السعادة، وتقولها قاعدًا
وقائمًا وعلى جنبك، وأنت في سيارتك، وفي مكتبك، وفي
طريقك، فالهج بها وأكثر منها، ففيها كل الحياة. أعاننا الله
وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته.



احذر

احذر أن تكون من الغافلين الذين حذرنا الله من صحبتهم وطريقتهم، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٢٠٥].

احذر أن تصحب هؤلاء الغافلين أو تقلدهم أو أن تكون حالك كحالهم، فإنهم أناس أعرضوا عن الله وعن ذكره، وانغمسوا في أحاديثهم ولغوهم وهوهم ولعبهم وحكاياهم التي لا تنتهي، وكلامهم الفارغ السخيف الذي لا حد له، بينما إذا ذكرتهم بالله ودعوتهم إلى تسبيحه وتقديسه جل في علاه أعرضوا وصدوا؛ لأن قلوبهم ميتة وضمايرهم خاوية، ونفوسهم مندثرة في ظلمات المعاصي والخطايا: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة المطففين: ١٤]، ولهذا يقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [سورة الكهف: ٢٨].

شيخى لا أنساه

شيخى الذى حفظنى القرآن وجوّدته عليه الشيخ العلامة عبيد الله الأفغانى -رحمه الله رحمة واسعة-، لا أنسى صحبتى له، وجهه كورق المصحف، لا أعرف أحداً فى الناس واطب على تلاوة القرآن وتعليمه كما واطب هو، كان غالب وقته فى المسجد يدرّس قبل صلاة الفجر، ثم بعد صلاة الفجر، وربما إذا انتهى من تدريسه فى الكلية درّس قبل صلاة الظهر وقليلًا بعد صلاة الظهر، ثم يذهب للغداء والقيلولة، ثم يدرّس من صلاة العصر إلى صلاة العشاء، وأحيانًا بعد صلاة العشاء، وإننى ما زدت على ذلك، ويشهد لى مئات الطلاب الذين صحبوا الشيخ، وقد خدم حياته فى مسجد النبى ﷺ بالمدينة المنورة، سريع الدمعة، جمّل الله صورته وقلبه وطيب أنفاسه وعطّر مجلسه، فلا تجده إلا خاشعًا متبتلاً مسبّحًا، وفد من أفغانستان من كابول فى شبابه إلى السعودية بعد رؤية رآها، وكأن من أشار له إلى جهة مكة، وفهمت أنه الرسول ﷺ الذى رآه فى الرؤية، وقد لقي ربّه بعدما قارب التسعين من عمره، كلها عبادة وطاعة وتلاوة وتسييح، هنيئًا له قرّة عين. اللهم اجمعنا به فى الفردوس.

الزم الدعاء

لا أعلم عملاً أسرع إجابة وأعظم نتيجة من الدعاء، وفي الدعاء ألحَّ على ربك فإنه يحب سبحانه الملحين، ويجب -جلَّ في علاه- أن تسأله كثيراً، وأن تطلبه دائماً، عنده خزائن السماوات والأرض، وهو ملك الملوك وأكرم الأكرمين وأرحم الراحمين وأجود الأجودين، ادعه دائماً في السجود، في القيام، في أدبار الصلوات، في يوم الجمعة، قائماً وقاعداً، على جنبك، اطلب واسأل وارغب إليه وأكثر؛ لأنك تزداد منه قرباً وإليه حباً جل في علاه، فهو يحب السائلين ويعطيهم ويكرمهم، ادعه في صلاح قلبك، وصلاح ذريتك، ورزقك، واستقامة أمورك، وتحسين خلقك، وقضاء دينك، ونجاح أبنائك، وشفاء مريضك، وعودة غائبك، ومغفرة خطاياك، وامزج دعاءك له بالصلاة والسلام على نبيك ﷺ وسوف تلقى النتائج المبهرة الرائعة، والشمار اليانعة الدانية ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [سورة غافر: ٦٠].

منهج حياة

سورة الفاتحة معك في كل ركعة، فأنت تكررهما في سبع عشرة ركعة في اليوم واللييلة من صلاة الفريضة، فضلاً عن النافلة، لماذا؟

لأنها منهج حياة، ولأنها خطة عمل للدنيا والآخرة، ولأنها مشروعك الرباني الميداني؛ ولأنها قرآن وذكر وعلم ودعاء ورقية، ولو علمت أجرها ومثوبتها ونفعها وتأثيرها لكنت تقرؤها بتدبر كأنك تقرؤها لأول مرة، ولهذا أورد لك هذا الحديث العظيم الجليل الذي رواه مسلم في صحيحه عنه ﷺ أنه قال: يقول الله تعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي ولعبدني ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم قال الله: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين قال الله: مجدني عبدي، وإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدني ما سأل، وإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين

أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال:
هذا لعبدي ولعبدي ما سأل».

اجمع هذه السورة في كل ركعة؛ لأنها سوف
تقوم اعوجاجك النفسي والفكري، وسوف تدلك
وتهديك وترشدك، ولذلك امتن الله بها على رسوله
ﷺ فقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾
﴿٨٧﴾ [سورة الحجر: ٨٧].



ليس عنده انتظار

حدّثونا عن أحد الأساتذة في جامعة الإمام كلية الشريعة فقالوا: ليس عنده انتظار، أوقاته كلها معمورة بالطاعة، حتى إنه بين الحصتين يقرأ حفظًا من القرآن أو يسبّح، وبين الحصّة والحصّة يواصل الدعاء والاستغفار، وإذا حان وقت الضحى ذهب إلى المسجد فصلى ما تيسّر له، حتى عُرف بهذه العادات الجميلة، فلا يجدونه إلا مسبّحًا أو تالّيًا للقرآن، فضلاً عن اجتناب الغيبة أو السخرية، وكان إذا سمع كلمة نابية ردد: (أستغفر الله.. أستغفر الله)، وهذه الأفعال الجميلة تدل على قلب حي ويقظ؛ لأنه إذا عمّر القلب بتقوى الله وخشيته أثر في الجوارح، فلا يفعل إلا جميلاً، ولا يقول إلا جميلاً، ووصيتي لك أن تعمر اثنين في حياتك: قلبك، ووقتك، فقلبك لا تُسكن فيه إلا تقوى الله وحبّه وخشيته، ووقتك لا تعمره إلا بعمل فيه بر وصلاح ترجو ثوابه عند ربك. الله الله في القلب والوقت.



محركان

هناك محركان يشجعانك على السير إلى الآخرة: الذكر، والفكر، فالذكر يكون بالذكر المشروع الذي علمنا إياه رسولنا ﷺ من التسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير، والاستغفار، والحوقة، والصلاة على النبي ﷺ، وتلاوة القرآن، والتفكير، وأن يكون التفكير في مخلوقات الله وعجيب صنعه جل في علاه، وقد جمعها الله في آية فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝﴾ [سورة آل عمران: ١٩٠-١٩١]. استعمل هذين المحركين واجعلهما معك دائماً؛ حتى يمنحك الله التيقظ والانتباه لمصيرك والاستعداد لآخرتك، فإن الذكر السنّي والتذكر الشرعي أعظم عملين تلقى بهما ربك جل في علاه.



علم أسرتك

هل فكرت في أن تترك ورثة يذكرون الله ويحيّدون الصلاة والدعاء؛ ليكون في ميزان حسناتك عند الله؟ هل علمت أسرتك الصلاة الشرعية الصحيحة كما كان يصلي رسولنا ﷺ؟ هل صليت أمامهم وأخبرتهم بأركان الصلاة وسننها وآدابها وأذكارها وأدعيتها؟ هل حفظت طفلك وطفلتك سورة الفاتحة؛ لتكون في ميزان حسناتك؟ لأنهم سوف يقرؤونها في كل صلاة، عندها سيصبّون عليك الأجر صباً بعد وفاتك؛ لأنك السبب في تعليمهم هذه السورة وأمثالها، هل كررت على أسرتك مسألة توحيد الباري وعبوديته جل في علاه، وتدارست معهم هذه القضية البسيطة ولكنها عميقة عظيمة جداً من ربك؟ من نبيك؟ ما دينك؟ إنها الأصول الكبرى للإسلام، ولا تقل: هي معروفة وسهلة وميسرة، لا، كررها وتدبّرها معهم، واجعلها حاضرة في كل وقت؛ لأنها الأسئلة التي يسأل عنها كل واحد منا في أول ليلة في قبره، فإن نجح في هذا الامتحان نجح في كل أعماله ووصل إلى جنة الله ورضوانه. ثبتنا الله وإياكم عند السؤال.

أول غرسة

أول ما تغرس في قلب طفلك وطفلتك (لا إله إلا الله) ومعناها: لا معبود بحق إلا الله، فتبسّطها وتسهّلها وتشرحها وتكررها حتى ترسخ في ذهن طفلك فيشب ويكبر عليها؛ لأنها أصل الإيمان، وهي سبب النجاة من النار، وسعادة الدنيا والآخرة، وهي أحب الكلام إلى الله، وهي المخرجة للإنسان من الكفر إلى الإيمان، ومن الظلمات إلى النور، ومن النار إلى الجنة، وإن استطعت أن تضيف إليها قصصًا وآيات وأحاديث؛ حتى يكون الشرح وافيًا عند طفلك وطفلتك، وتكون هذه الكلمة هي المفتاح لحياتهم، فإن الله قد بعث بها الأنبياء ﷺ، وأنزل بها الكتب، فيا سعادة من أخلص في قولها، قال ﷺ: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه».



ثلاث مرات

أحسست بالموت في حياتي ثلاث مرات، ولحظتها
وددت أني تزوّدت للآخرة.

﴿الموقف الأول: حينما توقفت محركات الطائرة ونحن
فوق سماء الرياض نريد الهبوط في مطار الرياض
في أزمة الخليج الأولى، فبقينا ساعة يدور بنا قائد
الطائرة ونحن بين السماء والأرض وبين الموت
والحياة، مع أصوات البكاء والعيول من الركاب،
وقتها صرت أراجع سجلاتي وعملي، وكيف ألقى
ربي، وصار عندي شبه يقين بالموت، فالله أعلم كيف
كانت مشاعرنا.﴾

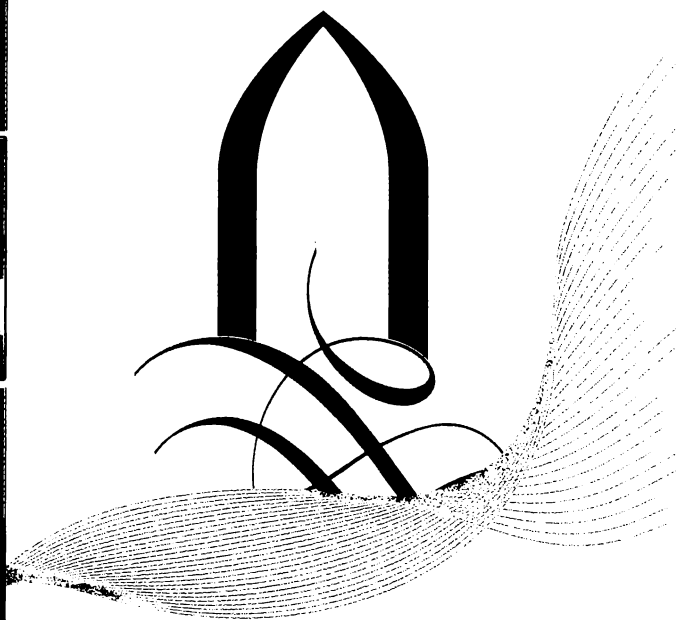
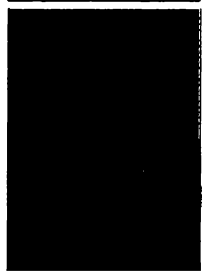
﴿الموقف الثاني: في الفلبين لما رميت بالرصاص كما
هو معروض في الفيديو، فإني بقيت ما يقارب ثماني
دقائق قبل أن يُغمى عليّ والدم ينزف من آثار ضرب
الرصاص في جسمي، وقد غاصت الرصاصة من

يدي إلى بطني إلى القولون، حينها تذكرت شهادة التوحيد فقط.

﴿الموقف الثالث: لما أجريت عملية فتاق لي في المستشفى الجامعي بالرياض، وكانت صعبة، حيث أتتني آلام الله أعلم بها مع البنج والمسكنات، فكنت أفكر في الموت كثيرًا، وأراجع أيامي وحساباتي وما مرّ من عمري.

والحقيقة أنه ينبغي علينا جميعًا قبل أي حادث أو مصيبة أن نتيقن أننا سوف نرتحل يومًا ما في لحظة لا ندري متى هي، محددة في علم الله تعالى بأجل مسمى، فنعد العدة ونتوب ونستغفر في كل وقت وأن.





الفهرس

المقدمة	٥
الدنيا طريقك إلى الآخرة	٧
جعلنا تفاصيل التفاصيل للدنيا	٩
إذا فتحت عينيك	١١
الانطلاق إلى صلاة الفجر	١٣
متى تكون في ذمة الله؟	١٥
وقرآن الفجر	١٧
الله أكبر من كل شيء	١٨
أذكار الصباح	١٩
بركة البكور	٢٠
اقطف حسنات في طريقك	٢٢
ركعتا الضحى	٢٣
فقط في ثانية	٢٥
في الدقيقة الواحدة تكسب ألف حسنة	٢٨
تاج الأذكار في خمس دقائق	٣٠
عبودية كل مجلس	٣٢
عبودية الأذان	٣٤

٣٦	عبودية الطعام
٣٨	عبودية اللباس
٣٩	استغفر للمؤمنين والمؤمنات
٤١	تذكر يوم الفصل
٤٣	شيبّني هود وأخواتها
٤٥	أول ليلة
٤٧	أعمال يوم الجمعة
٤٩	لا تنس حجة الإسلام
٥٠	شهر رمضان فرصتك الأخيرة
٥٢	حقوق نبيك صلى الله وسلم عليك
٥٤	يقطر عليّ في القبر
٥٥	اذهب بقلب سليم
٥٧	بين ١ في المئة إلى ١٠ في المئة
٥٩	تخلص من ديونك
٦١	صلّ صلاة مودّع
٦٣	كن غريباً
٦٥	برنامج السحرة
٦٧	عيش الآخرة
٦٨	غراس الجنة

- ٧٠ يا حبذا الجنة!
- ٧٢ غداً نلقى الأحبة
- ٧٤ النية إذا عجزت عن العمل
- ٧٥ هادم اللذات
- ٧٧ بعد (١٠٠) عام
- ٧٨ الحوض المورود
- ٧٩ زر المستشفى
- ٨١ زر المقابر
- ٨٣ صندوق العائلة
- ٨٤ استعد لثلاثة أسئلة
- ٨٥ كن خفيفاً
- ٨٦ البدار البدار
- ٨٨ أقرض ربك
- ٨٩ ليس للكفن جيب
- ٩١ إذا أردت أن تغتاب
- ٩٢ أنت الميِّت
- ٩٣ أصدر عفواً قبل نومك
- ٩٤ أطعم العصافير
- ٩٦ لا ترمِ الطعام

- ٩٨ ملابسك القديمة
- ٩٩ حافظ على البردئين
- ١٠٠ أمانة الأسرة
- ١٠١ أصابعك ولسانك
- ١٠٣ المال الرابع
- ١٠٤ قصرك في الجنة
- ١٠٦ كيف حالك مع القرآن؟
- ١٠٨ رُدّ المظالم
- ١٠٩ زين قبرك
- ١١٠ كرّر التوبة
- ١١٢ ماذا يُقال عنك؟
- ١١٣ ليكن لك خبيثة
- ١١٤ زد فردًا في عائلتك
- ١١٥ قائمة اليوم
- ١١٧ الصفّ الأوّل
- ١١٨ أنصت لمن جرّب
- ١١٩ هوّنّها تهون
- ١٢١ السفر القريب
- ١٢٢ بشربة ماء

- مرافقتك في الجنة..... ١٢٣
- ولو خمس دقائق..... ١٢٥
- ولو صفحة واحدة..... ١٢٦
- يجمع لغيره..... ١٢٨
- كُتِبَ لَا تُقْرَأُ..... ١٣٠
- الموت كل ليلة..... ١٣٢
- حدّث نفسك..... ١٣٣
- سلاح المؤمن..... ١٣٤
- كانوا على ميعاد..... ١٣٥
- لمن عجز عن التلاوة..... ١٣٦
- زلزلة الساعة..... ١٣٧
- ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾..... ١٣٩
- على هامات الأموات..... ١٤١
- سل الطين عن السلاطين..... ١٤٣
- طالع التاريخ..... ١٤٤
- موقف لا أنساه..... ١٤٥
- ال خليفة الزاهد..... ١٤٦
- أين أحبتي؟..... ١٤٧
- سبحان من وقّعه!..... ١٤٩

- ١٥٠..... رزقه الله من حيث لا يحتسب
- ١٥١..... كل يوم رغيف
- ١٥٣..... جدد إيمانك
- ١٥٤..... أجب
- ١٥٥..... ساعة للروح والبدن
- ١٥٦..... ﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾
- ١٥٨..... عند رأسك
- ١٥٩..... غصن شجرة
- ١٦٠..... احمد ربك
- ١٦١..... كفّ عليك هذا
- ١٦٢..... حتى في مجلس العزاء!
- ١٦٣..... مشغول دائماً
- ١٦٤..... تنتظرون موتي
- ١٦٦..... الإنفاق على الأهل
- ١٦٧..... عبد الرحمن السميط
- ١٦٨..... حياتنا وحياتهم
- ١٧٠..... فوق العادة
- ١٧٢..... الشباب وصلاة النافلة
- ١٧٤..... عاشت البطولات

- كل رمضان في تشاد..... ١٧٦
- حوّل العادات إلى عبادات ١٧٨
- يا لها من دقائق غالية!..... ١٧٩
- الرحمن يُعبّد في كل مكان..... ١٨٠
- شاب في إيطاليا..... ١٨١
- صينيٌّ بهرنا..... ١٨٣
- عجوز نيجيرية ١٨٥
- أطب مطعمك..... ١٨٧
- كسب في الدنيا وفي الآخرة..... ١٨٨
- لا تجلس فارغًا ١٨٩
- هدية الزائر ١٩٠
- جهنم أشدُّ حرًّا..... ١٩٢
- صخب الحياة..... ١٩٤
- الأسئلة الخطيرة ١٩٥
- مناديل سعد ١٩٦
- كأنهم لن يموتوا..... ١٩٧
- المقابر تجمع الكل ١٩٩
- عجلة غير مبررة..... ٢٠٠
- مشهد إيماني في باريس ٢٠٢

- لا تصدّقهم..... ٢٠٤
- أشعار القبيلة..... ٢٠٦
- يدخل المسجد وهو جنازة..... ٢٠٨
- سوف تدفع..... ٢٠٩
- ممنوع الاقتراب!..... ٢١٠
- الأذان في بوندو..... ٢١١
- برامج مشجّعة..... ٢١٢
- أيهم أسبق؟..... ٢١٣
- الاستعداد للرحيل..... ٢١٤
- ليس بصحيح..... ٢١٦
- إصلاح دنياك..... ٢١٨
- كلمة صادمة..... ٢١٩
- غالب الناس في غفلة..... ٢٢١
- أين دواء القلب؟..... ٢٢٢
- احرص على الجليس..... ٢٢٣
- مات الوالد..... ٢٢٤
- أحسنّت إلى نفسك..... ٢٢٦
- حاسب نفسك..... ٢٢٧
- كم نسبة القرآن؟..... ٢٢٨

- هَذَا هُوَ الذِّكَاءُ ٢٣٠
- النَّاسُ فِي غَفْلَةٍ ٢٣١
- عَامِيٌّ عَارِفٌ ٢٣٢
- عَامِلٌ عَرَفَ اللَّهَ ٢٣٤
- اسْتَشْهَدِ الطَّبِيعَةَ ٢٣٦
- حَكَّمَهُ فِي حَيَاتِكَ ٢٣٨
- كُلِّ الْوَقْتُ عِبَادَةً ٢٤٠
- حَمَامَةُ مَسْجِدٍ ٢٤٢
- مَنْبِّهَاتٌ ٢٤٤
- الْتَرَقِّيعُ بِالِاسْتِغْفَارِ ٢٤٥
- اشْتَرِ نَفْسَكَ ٢٤٧
- قَدِّمَهَا أَمَامَهُ ٢٤٩
- رَبِحِ الْبَيْعَ ٢٥٠
- مَا عَنْدهُمْ خَبْرٌ عَنِ الْآخِرَةِ ٢٥٢
- الْفَائِزُ الْأَوَّلُ ٢٥٣
- إِعْمَارُ الدُّنْيَا ٢٥٥
- بُكَاءٌ وَعَمَلٌ ٢٥٧
- الْوَقْتُ دَارٌ أَوْ عِمَارٌ ٢٥٨
- أَنْتَ فِي رَوْضَةٍ ٢٥٩

٢٦١.....	ابن تسعين سنة
٢٦٢.....	ليس عندنا وقت
٢٦٣.....	التزام واهتمام
٢٦٤.....	اترك أثراً طيباً
٢٦٥.....	شؤم المعصية
٢٦٦.....	الفراق فجأة
٢٦٧.....	صالة الانتظار
٢٦٨.....	الوقت الضائع
٢٧٠.....	طفئ العالم
٢٧١.....	قسوة القلب
٢٧٢.....	دنو الشمس
٢٧٣.....	كن كالنملة
٢٧٤.....	في الشهر (٣٠٠٠) نخلة
٢٧٥.....	تفقه كل يوم
٢٧٦.....	كل يوم قصر
٢٧٧.....	حتى في سكرات الموت
٢٧٨.....	موت الفجأة
٢٧٩.....	الموت يهون كل شيء
٢٨٠.....	خطة إستراتيجية

- أبواب الجنة ٢٨٢
- رضي الله عن الصحابة ٢٨٣
- الخير عادة ٢٨٤
- لا تنسَ نفسك ٢٨٦
- الأوقات الذهبية ٢٨٧
- أسئلة السلف ٢٨٨
- حصن المسلم ٢٨٩
- أفضل كلمة ٢٩٠
- احذر ٢٩٢
- شيخي لا أنساه ٢٩٣
- الزم الدعاء ٢٩٤
- منهج حياة ٢٩٥
- ليس عنده انتظار ٢٩٧
- محرّكان ٢٩٨
- علّم أسرتك ٢٩٩
- أول غرسة ٣٠٠
- ثلاث مرات ٣٠١
- الفهرس ٣٠٤

